الجمهـــورية الجزائريــة الديمقراطية الشعبيـــة

وزارة التعليم العــالي و البحث العلمي

جـامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية الآداب و اللغـات

قسـم اللغة و الأدب العربي

فـــرع: دراســـات أدبية

تخصص: أدب حديث و معاصر

مدكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية الموسومة ب :

سؤال الهوية في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السائح

إعداد الطالبة:

– غنية زوبير

إشراف الدكتور:

د. بوشيبة عبد السلام

أعضـاء لجنة المنـاقشة

د. مهيدي منصور .....رئيسا

د. بوشيبة عبد السلام.....مشرفا و مقررا

د.مداني علي.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1439هـ/1440هـ

2018 م / 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى من أمرني ربي بطاعتهما و الإحسان لهما

إلى أبي سندي و فخري في هذه الدنيا

حفظك الله و أبقاك لناظري

إلى أمي فقيدتي

غفر الله لك و أسكنك فسيح جناته

إليكما أرفع هذا العمل على سبيل الإهداء

شكـر و عرفـان

الحمد لله و كفى، و الصلاة و السلام على الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه و سلّم

أشكر الله و أحمده حمدا كثيرا مباركا فيه

على هذه النعمة الطيبة و النافعة، نعمة العلم و البصيرة

يشرّفني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل "بوشيبة عبد السلام" على مجهوداته الكريمة و توجيهاته التي قدمها لي و على الثقة التي وضعها في شخصي و التي كانت حافزا لإتمام هذا العمل

"و أتوجّه بالشكر إلى صاحبة التميّز و الأفكار النيّرة أختي "إلهام

"إلى أخي "كريم" و أخي "حكيم

إلى كل من حاول الوقوف بجانبي و لو بكلمة طيّبة

شكرا إلى كل هؤلاء

مقدمة

مقدمة

تحتل الرواية الجزائرية مكانة مرموقة وسط الابداع العربي الحديث، و منذ تكوينها استطاعت أن تحكي واقع المجتمع الجزائري بهدف احتواء همومه، آلامه، و أحلامه كما استطاعت أن تثبت وجودها ضمن الأجناس و الفنون الأدبية في العالم العربي، و باللغتين العربية و الفرنسية، و بما أنّ الروائي يعيش تلك التحولات التي تحدث في المجتمع، فإنه بالضرورة سينقلها في إبداعاته، و بذلك يساهم في إثراء هذا الفن.

فالأزمة التي عاشتها الجزائر، ارتبطت بكيان دولة و هوية شعب، وهذه الأخيرة تمثل شعورا طبيعيا في الفرد، فهي تمثل القوة الدافعة له لإنجاز أهدافه، و تحقيق طموحاته، و لن يتقدم مجتمع من المجتمعات إلا إذا حقق الإنسان فيه هويته، و امتلك الانتماء لوطنه.

لقد مثلت الهوية الانشغال الأول لكتاب الرواية، و شكلت بؤرة اهتمامهم و مدار تفكيرهم، و قد تكون رواية " أنا و حاييم " للحبيب السائح احدى أهم النصوص الروائية التي اشتغلت على إشكالية الهوية الجزائرية، و من هنا يتصدى هذا البحث لمعالجة تجليات الهوية في هذه الرواية ، و يطمح للإجابة على جملة من الإشكاليات أبرزها:

إلى أي مدى شغل موضوع الهوية الكاتب الروائي الحبيب السائح ؟

و كيف عالجت رواية أنا و حاييم موضوع الهوية ؟

و لحل هذه الإشكالية ارتأيت اعتماد المنهج الوصفي التحليلي الذي يساعد على البحث و التحليل.

و في محاولة للإجابة عن هذه الإشكالية، عمدتُ إلى خطة تتوزع على مقدمة و خاتمة و بينهما مدخل و فصلان، احتوى المدخل على نظرة عامة حول سيرورة الرواية الجزائرية متناولة فيه مراحلها و اتجاهاتها، كما عالجت فيه عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

ثم الفصل الأول المعنون " بالرواية الجزائرية و علاقتها بالهوية الوطنية " و الموزع على ثلاثة مباحث، سعيت في المبحث الأول لضبط مفهوم الهوية الذي يتفق جلّ النقاد أنه يتسم بنوع من الغموض و الانفلات، و كان تحت عنوان " مفهوم الهوية "، لأنتقل للمبحث الثاني تحت عنوان " محدّدات الهوية " و هو المبحث الذي حاولت من خلاله الاقتراب من طبيعة الهوية الجزائرية، كما عرّجت على جدل الهوية في الرواية الجزائرية المتمثلة في تداخل الهويات بين هوية دينية ممثلة في المتدينين، و هوية ثقافية بين النخبة المثقفة باللغة العربية و النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية.

أما المبحث الثالث فقد كان بعنوان التاريخ و المجتمع و تمثّل الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية و الذي بحثتُ في إطاره عن مضامين الرواية ذات الطابع التاريخي و الاجتماعي.

و فيما يخص الفصل الثاني أردته فصلا تطبيقيا وقفت فيه على أبعاد الهوية و تمظهراتها في رواية " أنا و حاييم " للحبيب السائح من خلال البعد الديني ، الثقافي ، و البعد التاريخي لها.

و خلصت إلى خاتمة تبرز أهم ما توصلت إليه في بحثي من نتائج.

و اعتمدت على جملة من المراجع ، تمثل أهمها في :

الهوية لأليكس ميكشيللي ، و هويتنا إلى أين؟ للطيفة إبراهيم خضر، و إلى جانب ذلك فقد ارتكزت على: الهوية و الاختلاف لمحمد نور الدين أفاية ، تطور الأدب القصصي لعايدة أديب بامية بالإضافة إلى التراث و الهوية لعبد العزيز بن عثمان التويجري.

و عمّا دفعني إلى اختيار هذا الموضوع تحديدا، فإني أجملها في نقطتين أساسيتين:

فهو انتقاء انطلق من الرغبة في التعريف بمسألة الهوية التي بدأت تتضح ملامحها في المشهد الروائي الجزائري، و لأنها لا تزال إلى يومنا هذا تعاني من الاضطراب.

واخترت رواية أنا و حاييم لأنها تعالج الانتماء الجزائري، كما استهوتني كونها حديثة الصدور.

كما أشير إلى بعض الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذا البحث و المتمثلة خصوصا في قلة إن لم أقل ندرة الدراسات حول رواية أنا و حاييم .

و في الختام أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث، و أخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور بوشيبة عبد السلام، على ما أولاه من عناية ببحثي هذا و صبره علي.

– غنية زوبير

مدخـل: الرواية الجزائرية ، السيرورة و التطور

- مراحل الرواية الجزائرية
- اتجاهات الرواية الجزائرية
- الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

مدخل

الرواية فن من الفنون الأدبية النثرية التي أثارت الكثير من النقاش فهي عالم شديد التعقيد ، متناهي التركيب ، متداخل الأصول ، هي من أشهر الأنواع الأدبية ، و أوسعها انتشارا بين أواسط القرّاء في زمننا هذا ، كما تعدّ من أقدم الفنون الأدبية وجودا ، إنها شكل أدبي جميل ، هي الفن المعبّر عن حياة الشعوب باللغة و حسب ، باللغة التي بإمكانها إنشاد الصوت و ترنيمه و تحريك المشاعر ، و بناء الآمال و الأحلام بسحر الكلام ، فبات الحديث اليوم عن هذا الجنس الأدبي حديثا مهما للغاية حتى قيل أن الرواية ديوان العرب الحديث ، فقد كانت هذه الأخيرة بمثابة الوعاء الحاوي لمختلف الأحداث و الأزمات التي يعاني منها الإنسان ، بمثابة إناء تصبّ فيه أفكاره و رغباته و أحاسيسه في صراعه مع واقعه و محيطه لأنها تعبير فني عن تلك الأزمات التي تواجه الانسان، فالذات المبدعة تشعر بأنها مهدّدة بالذوبان و التلاشي في ظل انحلال المبادئ و القيم و تشتّت الذوات ، فتصبح الحاجة إلى إنتاج مبتكر يدعو إلى قراءة تلك العوائق و مشكلات العصر.

فالمتن الروائي يعبّر عن آلام الشارع و قضاياه ، و الرؤية الضبابية للمستقبل فقد استطاعت الرواية أن تحكي واقع الانسان بهدف احتواء همومه ، آلامه و أحلامه ، بحيث تعتبر قصّة مطولة و تحكي الواقع بأسلوب شيّق و بتعبير وجداني.

استطاعت الرواية الجزائرية أن تثبت وجودها ضمن الأجناس والفنون الأدبية في العالم العربي و باللغتين العربية و الفرنسية ،فهي تضطلع منذ نشأتها بدور كبير في بناء صرح معرفي بالإنسان و هويته و ثقافته ، بحيث تحتل مكانة مرموقة وسط الابداع العربي الحديث ، فقد سايرت الواقع ، و نقلت مختلف التغييرات التي أسهمت في احداث هذا التغيير.

التفت الأدباء الجزائريون إلى هذا الفن و لكن الظهور المتأخر للإنتاج الروائي الجزائري سببه الأوضاع السياسية التي كانت في الجزائر **"و لما كانت اللغة الفرنسية تعتبر اللغة الرسمية في البلاد العربية ، و اللغة العربية هي اللغة الأجنبية. "**[1]

فهذه الظروف هي التي أدّت إلى تأخر نشأة الرواية الجزائرية لأنها كانت لا تزال منشغلة ، طالبة استرجاع هويتها و كرامتها من الاستعمار الفرنسي الذي حاول تطميس مبادئها و معالمها.

الرواية الجزائرية في فترة السبعينات

صبغت الرواية الجزائرية بصبغة ثورية و سايرت النظام الاشتراكي ، و هذا ما نجده في عقد السبعينات ، فبعد الأزمة العاصفة بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية أخذت الرواية منعرجا عالج موضوع الأزمة و آثارها " **فجاءت اللاز كإنجاز فني جريء و ضخم يطرح بكل واقعية و موضوعية ، قضية الثورة الوطنية"** [2].

فالطاهر وطار من جيل الثورة و الاستقلال ، فقد أرّخت أعماله لكل التغيرات الطارئة في الجزائر من الثورة إلى الاستقلال و تميّزت أعماله بالتلقائية و الشمولية للحياة بكل صراعاتها .

و قد جاءت أعماله لتكتب تاريخ التغييرات التي حصلت في المجتمع الجزائري منذ الثورة إلى غاية الاستقلال ، حيث يعود في رواية "اللاز" إلى تلك السنوات لتصوير مراحلها، و تلي "اللاز" رواية "الزلزال " التي تحكي عن شخص جاء من العاصمة ليحمي أملاكه من الثورة الزراعية و هذا تعبير عن وضع ريفي سائد في تلك المنطقة.

ابن هدوقة أيضا اسهم في إثراء الفن الروائي الجزائري من حيث تعبيره عن قضايا المجتمع و نشر الوعي السياسي" **و الشيء نفسه قام به مرزاق بقطاش في روايته الأولى ، طيور في الظهيرة ، فقد**

[1]- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، د.ت ، ص72

[2]- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ط ، 1986، ص90

حاول أن يغطي فنيا انجازات الثورة الوطنية التي لم تتح فيها الظروف الصعبة للرواية العربية في الجزائر أن تقوم بدورها التاريخي[1] " .

و من هنا تكوّنت تجربة روائية جزائرية قامت بمحاكاة التاريخ و الواقع بلغة فنية، فكانت نتاج فنّي لهذه المرحلة من التاريخ.

و هذه الفترة شهدت أعمال روائية برزت بشكل واضح تمثّلت في:

-"نار و نور ،دماء و دموع ، الخنازير ، الدكتور عبد المالك مرتاض.

– اللاز ، الزلزال ، القصر و الحوات ، عرس بغل ، العشق و الموت في زمن الحراشي : الطاهر وطار.

-قبل الزلزال : علاوة بوجادي.

–طيور في الظهيرة : لمرزاق بقطاش.

–ريح الجنوب ، نهاية الامس ، بان الصبح ، : عبد الحميد بن هدوقة.

–مالا تذروه الرياح ، الطموح : عبد العالي عرعار.

–الشّمس تشرق على الجميع ، الأجساد المحمومة : اسماعيل غموقات.

-جغرافية الأجساد المحروقة ، وقائع من أوجال رجل غامر صوب البحر لواسيني الأعرج[2] "

هذا اختصار بعض المضامين للنصوص الروائية التي ظهرت خلال هذه الفترة.

[1]- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 90

[2]- المرجع نفسه ،ص 111

الرواية الجزائرية في فترة الثمانينات

شكّلت مرحلة الثمانينات في مناخها الروائي استمرارية لمرحلة السبعينات كونها ارتكزت على تجسيد الواقعي لأحوال المجتمع، و من النماذج الروائية في هذه الفترة قد نلمس مثلا روايات واسيني الأعرج " وقع الأحذية الخشنة " سنة 1981، " نوّار اللوز" سنة 1982.

كما أن رواية "زمن النمرود" 1985 للحبيب السايح حققت استثمارا قويّا للواقع بالجزائر ، حيث استحضر فيها تاريخا حيّا و جنح إلى استعمال اللغة العامية في بناء خطابه الروائي الذي يحكي خيبات الاستقلال و الثورة.

و من الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا ، كتب مرزاق بقطاش روايته " البزاة" سنة 1982، و "عزوز الكابران" سنة 1989.

كما أخرج رشيد بوجدرة عدّة أعمال روائية نذكر من بينها رواية "التفكك" سنة 1982 ، و كتب الطاهر وطار " العشق و الموت في زمن الحراشي " سنة 1980 و التي تعتبر صورة مصغرة لحياة الكاتب و مساره النضالي.

إن ما يلفت النظر في هذا المنحى هو احتفاء النصوص بموضوع الثورة و تمجيدها كرواية "و أخيرا تتلألأ الشمس" 1989 لمحمد مرتاض ، و غيرها من النصوص الروائية التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير قبل الاستقلال.

الرواية الجزائرية في فترة التسعينات

لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي متميز بالمرحلة التاريخية التي أنتجته ، فقد تأثر المشهد الروائي في الجزائر في هذه الفترة بالأحداث السياسية و

الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، فقد وقعت الجزائر في مواجهة دموية و التي هدّدت بنسف أركان الدولة و أسس المجتمع.

إن العنف و الارهاب برز بشكل لافت في التسعينات و أثر على النص الجزائري ، هذه الفترة تجلّت فيها المحنة و فرضت حضورها بقوة في الكتابة الروائية "**هذه الأحداث التي دخلت الجزائر بها مرحلة الفتنة و هي تتجلى في الصراعات الدموية بين السلطة و الجماعات الإسلامية المسلحة مما عمّق محنة الجزائر : الوطن / الشعب بسبب سيادة أجواء الفوضى ، و غياب الأمن و استشراء الموت الفردي و الجماعي عبر ما يرتكب من جرائم القتل و الاغتيالات ، فقد كان لتضخم مناخات الارهاب ، و احتداد المأساة الجزائرية أن ظهر في التسعينات من القرن العشرين نمط روائي جديد أطلقت عليه تسمية رواية المحنة ، و هو نمط يتّخذ من الفتنة الجزائرية سؤالا مركزيا لمتنه الحكائي(...) و سمّت هذه الأخيرة بمناخات الفاجعة و المأساة** "[1] .

فكانت هناك نصوص كتبت في تلك الأوضاع تحت ضغط الأحداث لتسجّل الراهن الجزائري فاتّخذت من مأساة البلاد بؤرة سردها و مدارا لها حيث واكبت الرواية هذه المرحلة و فرضت حضورها بقوة في الكتابة الأدبية الجزائرية.

إذا فموضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، و قد تنوّعت ووجدت الكثير من الروايات التي تعاطت موضوع العنف و آثاره الاجتماعية و الثقافية .

انعكست هذه الأوضاع على الانتاج الأدبي عموما و الروائي بشكل خاص ، ولقد مثّل هذا النوع من الكتابة مجموعة من الروائيين على رأسهم :

-رواية "رأس المحنة " سنة 1991 ، لعز الدين جلاوجي

[1] – بوشوشة بن جمعة ، سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية ، المغاربية للطباعة و النشر و الاشهار ، تونس ، ط1، 2005، ص11

واسيني الأعرج في رواياته: "سيدة المقام" سنة 1991، "ضمير الغائب" سنة 1994 و ذاكرة الماء 1997

-رشيد بوجدرة في رواياته : "فوضى الأشياء"1990، ورواية "تيميمون" 1994

-الطاهر وطار في : "الشمعة والدهاليز" 1995 ،"الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "1999

-أحلام مستغانمي في : "ذاكرة الجسد"1993، "فوضى الحواس " 1996

-الحبيب السائح في روايته : "ذاك الحنين" 1997

وصولا إلى روايتي ياسمينة خضرا في "خرفان المولى" 1998 ، و "بماذا تحلم الذئاب " سنة 1999

"و هي روايات تفاوتت في قيمتها الجمالية... و تشكل إضافة نوعية لهذه الرواية العربية الجزائرية "[1] و اعتمدت على الأزمة و استمدّت منها أعمالها بحيث تبلور الواقع التسعيني فأثار جدلا واسعا حول التاريخ و الهوية .

إذا فالرواية هي شهادة على واقع و شهادة على حضور ذات المثقف المعذبة و محنته في رواية الأزمة.

[1]- بوشوشة بن جمعة ، سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص 12

اتجاهات الرواية الجزائرية

1- الاتجاه الإصلاحي:

ظهرت الحركة الاصلاحية في الجزائر و كان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين، و جمعية العلماء المسلمين تعتبر خير ممثل للفكر الإصلاحي في الجزائر و قد أسّس هذا الاتجاه للرواية المكتوبة باللغة العربية مثل :" غادة أم القرى للشهيد رضا حوحو" الذي أضاف إلى رصيد الرواية العربية شيئا كغيره من الكتاب.

إن الروايات التي تقوم على هذا الاتجاه "**ليست روايات بالمعنى الكامل للكلمة ، فليس من بينها عمل واحد اكتملت له عناصر الوحدة الفنية أو ارتسمت فيه الشخصيات و الأحداث رسما دقيقا (...) لكن فخر أنها أسست للرواية العربية في الجزائر**[1] " .

2- الاتجاه الرومانتيكي:

الاتجاه الرومانسي في الرواية بحث عن العدالة و هاجم الاستبداد و الظلم كونها حركة ثورية عبّرت عن مختلف القضايا الوطنية ، فالحركة الرومانتيكية الجزائرية أخذت مداها في الاتساع قبل الثورة التحريرية خصوصا في الشعر.

و يمكن أن نصنف تحت هذا الوعي الرومانتيكي رواية "مالا تذروه الرياح" ل محمد عرعار ،"نهاية الأمس " لعبد الحميد بن هدوقة ، و "دماء و دموع " لعبد المالك مرتاض

لهذا يمكننا القول بأن " **الرومانتيكية تجد تفسيرها الموضوعي كتيّار جديد بدأ في الأدب الجزائري في الواقع الاجتماعي الذي كان يعيشه هذا البلد آنذاك** "[2] .

---

[1]- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،ص129

[2]- المرجع نفسه ، ص 221

3- الاتجاه الواقعي النقدي:

إن النظر إلى الواقع جعل الكتّاب يلتقون في زوايا وحّدت مجهوداتهم "**و هم بشكل عام نظروا للمجتمع من منظورات تكاد تكون مشتركة إلى حد ما من حيث أن الواقع مركز حي و متحرك**[1] "

فرصدت الأزمات الاجتماعية بشكل واقعي في الرواية الجزائرية خصوصا المكتوبة بالغة الفرنسية على يد قافلة من الكتّاب هم : محمد ديب ، كاتب ياسين ، مولود فرعون ، آسيا جبار ، مالك حداد ، عبد الحميد بن هدوقة .....و غيرهم.

4- الاتجاه الواقعي الاشتراكي

يقول واسيني الأعرج مدافعا عن الواقعية الاشتراكية "**من هنا تظهر القوة اللامحدودة للتعبير عن الواقعية الاشتراكية التي تتيح لكل النماذج البشرية للتعبير عن موقفها ووعيها و حالتها من خلال واقعها الطبقي المعيش**[2] "

ظهر هذا الاتجاه على ساحة الرواية الجزائرية في روايات محمد ديب و كاتب ياسين و من الروايات التي تحمل أبعاد الاتجاه الواقعي الاشتراكي، أعمال الروائي الطاهر وطار ك " اللاز" "الزلزال" و " العشق و الموت في زمن الحراشي ".

[1] واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط1، 1985، ص35

[2] - واسيني الأعرج ، الطاهر وطار و تجربة الكتابة الواقعية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ،1989، ص29

الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

استُعمرت الجزائر فترة طويلة من الزمن ، حيث حرمت من حقوقها و سلبت مبادئها و من أهمها اللغة و الدين فحاولت مجموعة من المثقفين إسماع صوت الجزائر إلى الآخر عن طريق لغته ، بالرغم من المحاولات في التأليف باللغة العربية لمحاربة الظواهر التي شوّهت المجتمع الجزائري آنذاك.

تعتبر سنة 1950 سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، على يد مجموعة من الروائيين الجزائريين الذين حصّلوا نصيب وافر من الثقافة الفرنسية إثر تعلّمهم في المدارس الفرنسية ، في حين تأخر ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية إلى غاية السبعينات من القرن الماضي ، فجمعية العلماء المسلمين التي انتهجت الفكر الإصلاحي و التي أسست الاتجاه للرواية المكتوبة باللغة العربية كانت سببا رئيسا في تأخر ظهور جنس الرواية باللغة العربية في الجزائر و هذا ما يذهب إليه مخلوف حيث يؤكد أنه منذ "**بروز الحركة الوطنية كانت الأولوية دوما للخطاب السياسي الايديولوجي فلم يكن أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يهتمون بالناحية الجمالية بقدر ما كانوا يهتمون بالدلالة السياسية و الاجتماعية في كتاباتهم ، فبقي الشعر في حدود القوالب التقليدية ، و تخلّف عن شعر المهجر و تجديداته ، ونال فن المقالة الحظ الأوفر من الكتابة النثرية ثم كان المقال القصصي فيما بعد أقصى ما بلغه الفن القصصي قبل حرب التحرير**[1] "

فجمعية العلماء المسلمين قالت بضرورة الحفاظ على مقومات الهوية الجزائرية من لغة و دين، وكان هذا وفق رؤية اصلاحية.

وقد كانت اللغة الفرنسية وسيلة للتحدث بلسان الشعب و الدفاع عن حقوقه من خلال الرواية التي تحاكي الواقع "**لقد أصبح الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية ذا بعد إنساني عظيم عندما**

[1]– عامر مخلوف ، الرواية و التحولات في الجزائر ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ت ، 2000، ص10

بدأ يعطي الأولوية و الصدارة للمسالة الوطنية ، التي و مازالت تعتبر جزء لا يتجزأ من كيانه و القضية المحورية لكل الكتابات التي أنتجتها تلك الحقبة التاريخية[1] "

حيث نجد كتاب الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية قد تحدّثوا و بكثير من الصدق عن معاناة الانسان الجزائري من فقر و ظلم.

و لعلّ من أهم الكتّاب في تاريخ الرواية الجزائرية التي صدرت خلال عشرية الخمسينات التي غاصت في واقع الشعب الذي كابد القهر لسنوات طوال ، محمد ديب مثلا الذي صوّر تلك المعاناة تصويرا فنيّا إبداعيا "**يغمس ريشته ريشة الرسّام الصادق في الدم و العرق و العذاب و الجنون والحكمة و التمرّد و المرض و التناقض و الثورة ،فيخرج منها ألوانا يصبغ بها لوحته ،غير أنه لا يجعجع و لا يصرخ و لا يحاول أن يعلم..... "**[2].

فقد نشر ثلاثيته الشهيرة بداية ب : "الدار الكبيرة " عام 1952 ، بحيث تناول مجموعة أحداث تدور في دار سبيطار و هي دار كبيرة بتلمسان ، و هذه الدّار قد استعملت كمستشفى خلال الحرب العالمية الأولى ، وفي هذه الدّار تسكنها أرملة متكفّلة بعائلتها المكونة من عمر الصبي و أختيه و عمر هو بطل الثلاثية التي تتناول البؤس الذي تعانيه فئات الشعب الجزائري إبان هذه القترة

تليها " الحريق" سنة1954 و هي سنة انطلاق الثورة التحريرية المجيدة، إذ تنتقل الأحداث إلى خارج تلمسان بإحدى القرى ، حيث تدخل عالم الفلاحين الذين سلبهم المستعمر أرضهم.

[1]- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،ص69

[2]- المرجع نفسه ، ص73

و "النول" هي الجزء الثالث من الثلاثية، وقد صدرت عن نفس الدار عام 1957 و فيها تجري الأحداث في عالم العمال في مصنع النسيج، حيث تحكي عن مدى الظلم الذي يعانون منه من طرف رؤسائهم المعمرين.

و بهاته التركيبة الثلاثية التي تحمل بين طياتها نبض آلام الشعب الجزائري " **استحق محمد ديب اسم بلزاك الجزائر عن جدارة ، و بفضل مجهوداته الابداعية الجادة التي لم تخرج في يوم من الأيام عن طموحات الشعب الجزائري الكبرى**[1] "

و خلال نفس العشرية التي شهدت ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي ، نجد كاتب ياسين الثوري المتمرّد الذي نحت اسمه إلى جانب كبار الأدباء الفرنسيين ، أنجب رواية كانت أكثر أعماله شهرة سنة 1956 سمّاها "نجمة" التي تناول فيها مظاهر الاستغلال و الظلم الذي مارسه المعمرون على أبناء الأرض، و يصوّر فيها مجازر 08 ماي 1945 التي قمع فيها المستعمر بوحشية المتظاهرين من أجل الحرية و العدالة ، واعتبرت نوعا من الكتب التي تسبق الثورات و تخطط لها

الشيء نفسه نجده عند مالك حداد الذي لم يتهاون عن مواكبة الحدث من خلال تصوير وقائع الثورة المسلحة و كشف أبشع صور التقتيل و التعذيب و مثال في ذلك رواية "الانطباع الأخير" الصادرة سنة 1958 "**فمن رصيف الأزهار لا يجيب إلى سأهبك غزالة ، إلى الشقاء في خطر ، ظلّ مالك حداد يحمل مأساته المزدوجة و ربّما بحسّ مختلف عن حس الآخرين ، هذا الهم المزدوج الاستعمار و اللغة ، هو الذي حدّد مسار كل أعماله**[2] ".

أما الصوت النسائي الأكثر بروزا في ساحة الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، فقد مثلته آسيا جبار التي انتسبت إلى دار المعلمين في باريس كأول امرأة جزائرية، فنشرت أول أعمالها

[1]- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 73

[2]- المرجع نفسه ، ص74

الروائية و كانت بعنوان " العطش" 1957 تليها رواية "القلقون" سنة 1958و رواية " أبناء العالم الجديد" 1962.

وواصل من بعدهم كل من الطاهر وطار ، رشيد بوجدرة ، عبد الحميد بن هدوقة و موزاق بقطاش ... و غيرهم.

فأمر اللغة الفرنسية هذه و هذا النتاج قد جاء في ظروف استثنائية عانت فيها الجزائر من مسخ لهويتها و القضاء على معالمها ، فبالرغم من مسألة اللغة إلا أن هذا الأدب قد عبّر عن هموم وطنية و قومية حتى و لو كانت باللغة الفرنسية.

فكانت اللغة الفرنسية سبيل الكاتب الجزائري الوحيد ليصيح أمام مستعمره ، و من هنا " **فليست المسألة إعجابا بالحضارة الفرنسية أو عدمها ، و إنما القضية قضية ظرف تاريخي كان أكبر من مجرّد الرغبة في الكتابة باللغة العربية**[1] " .

حيث نجحت هذه التجربة في كسر الحواجز التي نصبها الاستعمار أمام الروائي الجزائري ، فعلى قلّة الأعمال هاته إلاّ أنّها استطاعت أن ترقى إلى مرتبة عالية ، كانت ذات نزعة وطنية تركت أثرها في مجرى الحياة الأدبية .

[1]- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،ص70

الفصل الاول: الرواية الجزائرية و علاقتها بالهوية الوطنية

المبحث الأول : مفهوم الهوية

المبحث الثاني : محددات الهوية الجزائرية

المبحث الثالث: التاريخ و المجتمع و تمثل الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية

المبحث الأول: مفهوم الهوية

أصبح مفهوم الهوية من المفاهيم التي أثارت إختلالات عميقة و اختلافات بينة و واضحة، فبات اليوم طرح الهوية من أهم المباحث المعاصرة.

أخذ السؤال المتعلق بالهوية مكانا محوريا في اهتمام و تفكير العديد من الفلاسفة و العلماء و الباحثين، إذ نجدها تشير إلى عدة معاني و مفاهيم، حيث اختلف الفلاسفة في تعريف مصطلح الهوية إذ تعرف:

لغة:

جاء في لسان العرب: "**الهوية مشتقة من الفعل: هوى، هوة، و الهوية تصغير هوة. و قيل : الهوية بئر بعيدة المهواة**" [1].

و جاء في معجمه أيضا" **قال ابن الأعرابي هُوِيّة أراد أهوية. فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء ... و في الحديث: إذا عرستم فاجتنبوا هوي الأرض و هي جمع هوة و هي الحفرة و المطمئن في الأرض**"[2].

و في المنجد:" **الهوية(هو) ضمير للغائب المفرد المذكر، و يقال للمثنى (هما) و جمع المذكّر(هم)، و يقال للمؤنث (هي) و للمثنى (هما) و للجمع(هنّ).**

و الهوية: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية و ذلك منسوب إلى (هُوَ).

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط1 ،1997، ص374

[2]- المرجع نفسه،ص376

و الهُوْ هُوْ. لفظ مركب هُوَ هُوَ: جُعِل جُعِل إسما معرّفا باللام و معناه الإتحاد بالذات.

و الهوية " مصدر صناعي من كلمة(هو) للدلالة على أن الشيء هو هو و ليس غيره، أو بأنه هو هو لم يَصِر شيئا آخر، و هي الذات الثانية من خلال تغير أحوالها مثل هوية الأنا"[1].

اصطلاحا:

إن التعرض إلى مصطلح الهوية و القبض على مفهومه و البحث في أبعاده ليس بالمهمة السهلة أو اليسيرة.

و من هذا ينطلق **أمين معلوف في** كتابه "**الهويات القاتلة**" من موقفه من كلمة الهوية قائلا : "**علمتني حياة الكتابة أن أحذَرَ الكلمات ، فتلك التي تبدو أكثرها شفافية، هي في أغلب الأحيان أكثرها خيانة، أحد هؤلاء الأصدقاء المزيفين هو بالتحديد كلمة هوية، فجميعنا نعتقد معرفة ما تعنيه هذه الكلمة و نستمر بالثقة بها حتى عندما تبدأ هي بقول العكس بمكر** "[2].

فالتعرض لمصطلح الهوية سيضطرنا للحديث عن جملة من المفاهيم التي تشترك معها في العديد من السياقات التي يتأكد فيها حضورها.

حيث يشير بعض الدارسين إلى اعتبار أن:" **مصطلح الهوية في حد ذاته لا يُمت بصلة إلى جوهر اللغة العربية، فهو طارئ عليها... لقد اضطرّ إليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الإسم من حرف الرباط، أعني الحرف الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، و هو حرف "هو" في قولهم زَيْد هو انسان"**[3].

[1]- لويس معلوف و آخرون، المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق، بيروت، طبعة 38، 2000.ص 875

[2]- أمين معلوف، الهويات القاتلة بر: نبيل محسن، دار الحصاد، دمشق، ط1 1999. ص13

[3]- رسول محمد رسول ، محنة الهويات(مسارات البناء و تحولات الرؤية) المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت، ط1، 2002، ص17.

كما تتحدد الهوية و تتحقق بالانفتاح على الآخر و التحاور و تحقيق التفاعل معه هذا ما نجده عند **تشارلز تايلور***في تعريفه الهوية بقوله" **إنها تعني من نكون، فهي المكان الذي ننتسب إليه، إنها تجسد بحق الخبرات و التجارب السابقة، التي تضفي معنى على أذواقنا، و رغباتنا، و خياراتنا، و مطامحنا...، و من ثم فإن إدراكي للهوية التي يعني أنني قد جعلت الهوية موضوعا للحوار مع الآخرين... و بذلك فإن هويتي تعتمد على حد كبير على علاقاتي التحاورية مع الآخرين"**[1].

فالهوية في نظره لا تتحقق بمعزل عن الآخرين. في حين نجد أن الهوية " **ذات الكائن من جهة ما هو هو أو من جهة ما هو ذاته برغم التغير ، أو من جهة ما يتفرد به في الوجود، فيتميز من غيره، و بهذا المدلول الأخير يقترب معنى الهوية من معنى الماهية"**[2]. بحيث تكمن حقيقة الشيء في تميّزه عن الآخر فيسمّى حقيقة من حيث امتيازه عن الغير و هذا ما يدعى بالهوية.

كما نجد الفارابي يقول بهوية وجود واحدي للشيء، فهوية الشيء مستقلة عن أي وجود آخر كُلٌ له خصوصيته، حيث لا اشتراك لهوية شيء آخر معه، حيث يقول في كتابه التعليقات: " **هوية الشيء و عينيّته و وحدته و تشخّيصه وخصوصيته و وجوده المنفرد له كلٌ واحد، و قولنا أنه هو إشارة إلى هويتّه و خصوصيته و وجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك و الهو هو معناه الوحدة و الوجود، فإذا قلنا زيد هو كاتب، فمعناه زيد هو موجود كاتب**"[3].

و هذا تأكيد على الواحدية و المماثلة في الهوية.

---

*فيلسوف كندي، ولد في مونتريال بالكيبيك سنة 1931 اهتم منذ كان طالبا بالكتابة في مواضيع الحرية و العلوم الاجتماعية، إضافة إلى انشغاله بفلسفة اللغة العادية من خلال متابعته لكتابات جون أوستين.

اتسمت أعماله بالموسوعة و الشمولية لكونها امتدت إلى المباحث الفلسفية الكبرى الراهنة لاسيما الفلسفة التحليلية و الهرمينوطيقا و الفينومينولوجيا و العلوم الإنسانية و قضايا الأخلاق و السياسة.

تحصل على العديد من الجوائز تقديرا لأعماله و مسيرته العلمية و منها جائزة كيوتو

[1]–حسام الدين علي مجيد ، انبعاث ظاهرة الهويات، قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور، موقع: مؤمنون بلا حدود، 2019/01/02، 15:45.

[2]– عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1 1994، ص.80

[3]– الفارابي ، التعليقات، تح: جعفر الياسين، مجلس دار المعارف العثمانية الهند،د ط1946هـ/1928 م ،ص21.

بحيث يعرض بعض الدارسين وجهة نظر ترى بأنّ الهوية في الأدب هي تكوّن هويتنا الثقافية و الفردية بحيث تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة و لا سيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي و يعد بالتالي من أكثر المفاهيم تغلغلا في عمق حياتنا الثقافية و الاجتماعية اليومية.

فالهوية كلٌّ مترابط، لا انفصام لها عن مكوّناتها، فهي ثقافية، اجتماعية، سياسية...الخ.

يمكن القول أنّ الهوية بما هي مجموع السمات و المميزات التي تميّز الفرد عن الجماعة، كما تميّز فردا عن آخر، بل و جماعة بشرية عن أخرى و أمّة عن أمّة أخرى، للاختلاف الموجود بين الأمم.

كما يذهب إلى ذلك **جان فرانسوا ماركييه** إلى أنّ الإنسان " **كان يبحث منذ البدايات عن مرآة يمكن أن يجد فيها صورة هويتّه المشتتة، و قد جمعت و جرى فهمها أخيرا، و هو يعثر على غداء بحث كهذا في اللغة، الفلسفة و الآداب**"[1].

فليس هناك شيء يصعب احرازه أكثر من هويتنا كونها الأكثر تشتّتا ،فهي التي تعكس صورتنا.

الهوية في التراث العربي الإسلامي:

الهوية تقف في مفترق طرق عدة حقول معرفية، لكونها مصطلحا متعدّد المرجعيات، متعدّد الأبعاد: تاريخية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، نفسية...

فقد استخدم هذا المصطلح في أنحاء شتّى، للتدليل على الهوية الفردية و هوية الآخر و بالتالي الهوية الجماعية.

تزايد الاهتمام في الفترة الأخيرة في مفهوم الهوية العربية الإسلامية بحيث نلمس حضور الكلمة في التراث الفلسفي الإسلامي.

فها هو الدكتور **التويجري** يشير بقوله " **إنّ فهمنا للهوية ينبني على تراثنا الحضاري... ،و لفظ**

[1]– جان فرنسوا ماركييه، مرايا الهوية : الأدب المسكون بالفلسفة، تر،أ.كميل داغر، مراجعة، لطيف الزيتوني، مؤسسة الفكر العربي، المنظمة العربية للترجمة بيروت، د.ط ،2005، ص13.

الهوية يطلق على معانٍ ثلاثة: التشخيص، والشخص نفسه، و الوجود الخارجي"[1].

و جاء في كتاب "**الكليات**" لأبي البقاء الكوفي"**أنّ ما به الشيء هو باعتبار تحقّقه يسمّى حقيقة و ذاتا، و باعتبار تشخّصه يسمى هويّة ،و إذا أخذ أعمّ من هذا الاعتبار يسمّى ماهية** "[2]

فالهوية هنا تشير إلى ماهية الشيء ، و تكون هذه ةالماهية إما ذاتا ، و هذا باعتبار تحقق ماهية الشيء و قد تسمى ماهية الشيء بالهوية باعتبار التشخيص ، و قد تكون ماهية إذا أخذت اعتبارا أعم من التشخيص .

فالهوية في ثقافتنا العربية الإسلامية تتميّز عن غيرها من الثقافات الأخرى

في حين نجد **الجرجاني** يقول بأنّ الهوية هي " **الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"**[3].

حيث اشتمال الهوية على حقيقة الشيء و جوهرية خصائصه كاشتمال النواة على الشجرة، فهو يشبّه الهوية بالنواة، و هذه النواة تنتج شجرة.

و إذا ارتكزنا على المفهوم الفلسفي لكلمة هوية، أو عودتنا إلى المفهوم اللغوي " **فإنّ المعنى العام للكلمة لا يتغيّر و هو يشمل الامتياز عن الغير، و المطابقة للنفس أي خصوصية الذات و ما يتميّز به الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص و مميزات، و من قيم و مقوّمات** "[4]

فمفهوم الهوية لم يبتعد فيه الفلاسفة المسلمون عمّا كان عليه في التراث اليوناني مع أرسطو، فهي تقتضي أن يكون الشيء ذاته أي مطابقا لنفسه.

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحفاظ على الهوية و الثقافة و الإسلامية في إطار الرؤية المتكاملة www.islamtoday.net/files. 2019/02/02، 17:47

[2]- أبو البقاء الكوفي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992، ص961.

[3]- الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية . د ط1995، بيروت، ص257.

[4]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق ،ص 19 .

" **فإذا قلنا زيد هو كاتب معناه زيد موجود كاتب**"[1]

وهذا تعبير عن مبدأ الهوية بعلاقة المساواة، ومن هنا نلمس مجمل المعاني التي دارت في محيطها الهوية، والتي تلوّن بها هذا المصطلح في التراث العربي الإسلامي.

يشير البعض إلى أن الهوية " **مفهوم غربي لم تعرفه لغتنا العربية إلا حديثا ، فالبحث المتأني في معاجمنا يشير إلى هذه الحقيقة ، فالمصباح المنير ، والقاموس المحيط ، و لسان العرب ، تخلو من هذا المصطلح الحديث، إذ لا يعدو الشرح من أن تكون الهوية مستقاة من الفعل هوى**"[2] .

لم يكن الفكر العربي الإسلامي مقصّرا في تناوله لمصطلح الهوية، ولأسباب عديدة توقّف الاهتمام و زال النقاش حول المصطلح كشأنه من أوجه الحياة الثقافية حيث كانت الأمة العربية الإسلامية قد حقّقت ازدهار في كافة مجالات المعرفة، إلا أنّ جذوة الحضارة العربية الإسلامية قد انطفأ ضياؤها بسبب انحلال البنى الداخلية، و تقهر الحياة الثقافية لها " **لم تكن الثقافة العربية في عصورها الزاهرة بحاجة إلى تعريف الهوية أو القومية ، بل لم تكن بحاجة إلى طرح سؤال الهوية ذاته، فلماذا تطرح سؤالا لتأكيد الذات على الرّغم مما شيّدته من مجد و حضارة عربية أصيلة ، ومعالم هوية حضارية عربية بارزة ،تدل على ترابط و تماسك حقيقي بين أبناء الأمّة**"[3].

فالهوية الثقافية إثبات لخصوصية الفرد، و تحقيق وجوده ، وفق محدّدات متعارف عليها، و بما تستند إليه من فكر وقيم، و تقاليد وأعراف و معتقدات، و التي تتجلّى في اللباس و أسلوب الكلام ، و غيرها من الأنماط، فلكل أمة ثقافة تصطبغ بصبغتها ، ولكلّ ثقافة مميّزاتها و خصائصها، فهي بمفهومها تُبلور خصائص المجتمعات و صفاتها و تعطيها سيماتها المميزة لها. بحيث" **يعد التراث**

[1]- الفرابي ، التعليقات، مجلس دار المعارف العثمانية، د.ط، 1346هـ حيدر أباد(الهند)، ص21.

[1]- فاطمة الزهراء سالم، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية (التداعيات، و التحولات التصورات)،دار العالم العربي ، القاهرة، ط1،2008، ص73

[3]- المرجع نفسه، ص81.

أفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة و ذاتيتها الثقافية، ويشمل التراث أشكالا متعددة ثقافية وفنية و فكرية متوارثة، من ماضي الأمة القريب و البعيد، و هو عطاء من صنع الإنسان، يختلف باختلاف الأزمنة و الأماكن"[1]

و حال الأمة العربية كحال العديد من الأمم لما تعرّضت له خلال تأريخها لسلسلة من التحديات و المواجهات ، و ما اجتازته من تجارب قاسية التي هدّدت هويتها و خصوصيتها الثقافية ، من أجل الحفاظ على كيانها و مقوّماتها، حيث وجدت نفسها تتعرّض لهجمة شرسة افتتحت أبوابها بالاحتلال، بعد ذلك تشهد جملة من التحولات السياسية، الاستلاب الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي...الخ، و قد كان لها تأثيرها في تمثّلات الأمة العربية الإسلامية ، و"**في حالة انعدام شعور الفرد بهويته نتيجة عوامل داخلية و خارجية ، يتولّد لديه ما يمكن أن تسمّيه بأزمة الهوية التي تفرز بدورها أزمة وعي تؤدّي إلى ضياع الهوية نهائيا، فينتهي بذلك وجوده"**[2] .

فتشكل أزمة الهوية في العالم العربي إحدى أكثر الاهتمامات التي أثارت جدلا و نقاشا في زمن اتّسم فيه النظام الدولي بما يسمّى بالعولمة فشعوب العالم العربي تجتاز اليوم ظروفا صعبة ، تواجه تحدّيات تُهددها في هويتها كشعوب تتطلّع إلى تحقيق نهضتها و تقدّمها و استقرارها ،ومن هنا نجد سؤال من نحن؟ لا يتعلّق بالحاضر فقط بل يتعلق أكثر بالماضي و المستقبل.

فوجود مثل هاته الأسئلة تفيد وجود أزمة تعيشها المجتمعات العربية ، و لتأسيس الحّل لهذه الأزمة ، فالضرورة العودة إلى الماضي ليتحقّق المستقبل.

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري ، التراث و الهوية، منشورات المنظمة الإسلامية ، للتربية والعلوم و الثقافة، الرباط ، المملكة المغربية، د.ط.1432هـ/2011م،ص 256.

[1]- نديم البيطار ، حدود الهوية القومية، نقد عام ، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام ، بيروت، ط 1، 2002، ص11.

المبحث الثاني : محدّدات الهوية الجزائرية .

تلعب الهوية الجزائرية دورا في تفاعلها مع مختلف العناصر المكوّنة لها ، فالاقتراب من طبيعة الهوية، وما تمتاز به خصوصيات تبلور صورة المجتمع الجزائري ، و هذه الخصوصيات و المميزات هي اللغة التي يعرّب بها، و التاريخ الذي يعيش عليه و ينظر لمستقبله من خلاله، و الثقافية التي نقول عنها بمثابة وجه آخر للهوية، و الإسلام الذي يمثل مظهر الأمة ولباسها و هويّتها.

خصوصية الهوية الجزائرية:

يمكن ابراز أهم مقوّمات الشخصية الوطنية الجزائرية في العناصر التالية:

اللّغة:

تعدّ اللغة مكوّنا أساسيا في بنية الهوية الوطنية لأيّ مجتمع من المجتمعات، فهي تلعب دورا في إقامة جسور التواصل بين الأجيال ، و بذلك تتواصل ثقافة الجماعة ولا تندثر.

اللغة أكبر من مجرّد آلية للتبليغ و التواصل ، هي تجسيد وتصوير لثقافة المجموعة اللسانية و فكرها، هي بهذا كوعاء للفكر و المعرفة، هي أساس بناء المجتمع ، ومساهم بارز في تنميته حيث يذهب **شريف كرمة** إلى القول "**إنّ اللغة فكر و وجدان وإرادة ، تتجلى في المهارات، و تؤدي وظائف التفكير و التعبير و التواصل**"[1] ، فاللغة كانت و لاتزال أبرز علامات الوجود وأهم مظاهر التعبير عن الجماعة ، وهي من أهم العناصر المشكلة للهوية الاجتماعية (الوطنية) ، لذا تعدّ أداة بالغة القوة للإعلان عن هوية شخص ما، و الحفاظ عليها كونها السبيل القوي للحفاظ و الثبات على المشاركة في الجماعة وعلى الهوية الخاصة بكل فرد.

[1]– الشريف كرمة، اللغة العربية وعلاقتها بالهوية مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم ، العدد 6، جوان 2006 ،ص42

والدّور الذي تقوم به اللغة في تشكيل الهوية الاجتماعية جعلت من نفسها مثل الدّين تتعدّى كونها عنصرا عاديا من العناصر المشكلّة للهوية ، فاللغة العربية لا تقل أهمية في هذا الإطار ،فهذا الدّين نفسه لا يمكن فهم نصوصه، و ادراك تعاليمه إلا بتعلم هذه اللغة والحديث بها.

ولهذا فاللغة روح الأمة و حياتها ، وأنها تمثل أقوى مقوماتها وأهمّ عناصرها تخضع لمختلف مظاهر التطوّر التي يمرّ بها الانسان في بيئته، فأي تغيير يطرأ عليه لابد أن ينعكس على لغته التي لا تنفصل عنه، لأن اللغة عامل أساسي لازدهار ثقافة الأمة و حضارتها عبر مسارها التاريخي، الجامعة لأفكارها، والرّابطة لشتاتها، يقول **عز الدين صحراوي "لا يوجد شعب أو أمة لا تمتلك لغة، إنّ اللغة هي الشرط الأساسي الذي يعني انتقاء أمة كما يقول فلاسفة الرومان sin qua non إنها بهذا المعنى، أحد المقومات الأساسية التي بدونها لا مجال للحديث عن مفهوم المجتمع و الهوية الوطنية"**[1] .

هذه هي الصورة التي تبدو عليها اللّغة في علاقتها بالهوية.

اللغة العربية لغة شريفة كرّمها الله و هي التي أنزل بها القرآن ، و أصبحت عنوان هوية أمة بأكملها عموما، والشعب الجزائري خصوصا، ولكن ما مدى تفاعلها مع هوية المجتمع الجزائري ؟

ناضل المجتمع الجزائري عبر الأزمنة للحفاظ على هذه الهوية، حيث بقي محافظا على عروبته ولغته التي كان قد اختارها عنصرا قويا من عناصر تشكل هويته ، ودفاعا متميزا لشخصيته الوطنية، فاللغة العربية هي العامل الجامع بين الجزائريين على اختلاف أعراقهم وتنوّع لهجاتهم، كما بقي المجتمع الجزائري متمسّكا بها بفضل الزوايا و المساجد التي أدّت دورا مميزا في تعميق الحسّ الوطني.

[1] – عز الدين صحراوي ، اللغة العربية في الجزائر،التاريخ و الهوية، مجلة الادب و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة، العدد5 ، جوان 2009، ص46.

فالعربية تحتل مكانة مميّزة في نظر المجتمع الجزائري فهي لا تعني بالأساس الجنس أو العرق، أو وسيلة للحفاظ على الشخصية و ترابطها فقط، بقدر ماتعني عروبة اللسان كونها أساس كلّ نهضة و تطور مستقبلي ، وأداة لتحصين والحفاظ على هوية و شخصية المجتمع الجزائري.

و هذه اللغة إلى جانب هذا كلّه هي العامل الذي يربط بين ماضي الجزائر وحاضرها ومستقبلها.

التاريخ:

يعدّ التاريخ مرآة الشعوب، و حاضنة قوية لمجمل عناصر الهوية، فهو في حقيقته ليس هو الماضي بكلّ ما حفل به من تطوّرات، و ما شهده من أحداث تعاقبت " **و لكنه الحاضر بكلّ تحولاته، و المستقل بكلّ احتمالاته"**[1]، فالتاريخ ليس هو الماضي فحسب و إنما هو الماضي و الحاضر و المستقبل، لأن المستقبل يتمثّل في إحياء ذلك الماضي.

و يعتبر التاريخ كمقوّم أساسي من المقوّمات التي تقوم عليها هوية الأمم و الشعوب ، و هو أكبر عامل على الرّوح الوطنية، فهوية هذه الأمم مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخها لكونه ركيزة اساسية من ركائز هوية الأمة الثقافية، و دعامة رئيسية من دعائمها و الضامن على ارساء مقوّماتها و استمرار تواجدها " **و الحفاظ عليه مسؤولية مشتركة بين جميع فئات الأمة، و هويتنا هي مصدر تميّزنا عن الأمم و الشعوب ، و مبحث فخر و اعتزاز لنا، بل هويتنا هي الحاضنة الواقية لنا من المؤثرات الخارجية"** [2] ، لأنّه جزء منّا لا نستطيع الفكاك منه، و اهماله سيعرّض الأمة للخطر، و بذلك يُخطئ من يعتقد أنّ التاريخ سجلّ ميت، و ذلك أنّ البحث عن الذات و البحث عن الهوية لا يكون إلاّ بالرّجوع إلى ماضي هذه الأمة و تاريخها لهذا يكون للتاريخ مفعوله من خلال ممارسة هذا التأثير في حاضر الأمة بوصفه محفّزا على التجدد و الانبعاث.

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث و الهوية، ص07.

[2]- المرجع نفسه، ص28.

إنّ الباحث في مجال الهوية الوطنية لا يمكن أن يغفل عليه البحث في تاريخ الجزائر " **و التاريخ في الجزائر، ممّا كان له أثر واضح في حفظ الشخصية الجزائرية و تعميق أصالتها، إننا اليوم حين نبحث عن أنفسنا و أصولنا ، نفزع إلى التاريخ الوطني و إلى حوادثه الجسام بوجه خاص لنرى في هذا التاريخ أنفسنا ماثلة و شخصيتنا الوطنية قائمة**"[1].

لقد عانى الشعب الجزائري لمدة قرون من ويلات الاستعمار المتعاقبة، فكلّ الحضارات التي عمّرت بالجزائر ، حاولت أن تغرس ثقافاتها ، و أن تترك بصماتها في هوية الشعب الجزائري كما أنّ خوض تلك الحرب التحريرية من خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، و محاولته زرع بذور الخلاف بين العناصر المختلفة المكونة للشعب الجزائري لمحو هويته، و طمس معالمه، أرخى لهوية جديدة كتبت بدماء الشهداء، و لم يُدرك أنّه أرسى قواعده على حّب الوطن و الاعتزاز به، و بالتاريخ الذي خلفه شهداؤنا الذين ضحوا بالنفس و النّفيس من أجل الحرية و الكرامة ، و من أجل الحفاظ على مقوّمات البلد و ركائزه الأساسية.

الثقافة:

الثقافة هي مجموع القيم و القواعد و الاعراف و التقاليد التي تعمل على الحفاظ على توازن النسق الاجتماعي و استقراره و وحدته، تشير لطيفة ابراهيم خضر بقولها " **فإنّ الثقافة هي التي تصنع المجتمع ، و تصنع ملامحه و هويته و تماسكه** "[2] ، فالثقافة هي التي تحفظ تماسك الأمم و تحميها من التشتّت و الانحلال ، وهي بهذا تعدّ روح المجتمع و القاعدة التي يقوم عليها.

ترتبط فكرة الثقافة ارتباطا وثيقا بفكرة الهوية، فلكّل مجتمع ثقافة تحدّد الهوية العامة لأبنائه، و إذ أنّ ما من هوية إلاّ و تختزل ثقافة، و قد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة ، فالثقافة ما هي إلاّ تحقيق

[1]- عبد المالك مرتاض ، أصالة الشخصية الجزائرية ، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر ، العدد 8، جوان 1972 ص 127.

[2]- لطيفة ابراهيم خضر ، هويتنا الى اين؟ ، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 2009، ص 257.

لوجود الفرد و الجماعة ، وإثبات لخصوصيتهم، و ذلك بناءا على ما تستند إليه من فكر و قيم، و أعراف و تقاليد و معتقدات.

لكلّ مجتمع خصوصيته الثقافية التي تشكل هويته، فإنّ للمجتمع الجزائري خصوصية ثقافية تميّزه عن باقي المجتمعات العربية الإسلامية ، و ما نقصده ليس تلك الثوابت الرّاسخة داخل هويتنا الثقافية المتمثلة في الدين و اللغة ، و إنّما تلك المكوّنات غير الثابتة ، القابلة للتغيير من قيم و عادات، و ما تعارف الناس عليه و سلكوا طريقه.

فالمجتمع الجزائري يعيش في تعدّد ثقافي ، يبدو شائكا متشعّب الأطراف لبعض الدّارسين ، فهو مجتمع عربي إسلامي أمازيغي ، يجمع بين المعربين و المفرنسين، فعلى الرّغم من تنوعه الثقافي، فإنّه يحيا داخل مجتمع واحد و متماسك قائم في إطار وحدة ثقافية وطنية واحدة، و هذا التنوع يجمع بين القبائلية و الشاوية و المزابيّة و التارقية....

و ما هذا إلاّ دليل على ما يمكن أن تكون عليه الهوية الوطنية من خصوصيات.

الـدّيـــن:

يعرف الدّين على أنّه مجموعة المعتقدات و المبادئ و القيم التي تدين بها أمة اعقادا و عملا، و الأفكار التي يسلم الإنسان بها، يتكون من خلال الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة و العبادة، و هذا الإيمان مبني على نصوص دينية، كما يعدّ الدّين في المجتمعات العربية من المصادر الهامة في بلورة الهوية، و عنصرا مؤثرا في تشكيلها و تكوينها ، فهو يسهم في تعزيز الروابط بين الجماعات ، و في الحديث عن هذا الأثر تؤكد **ابرهيم لطيفة خضر** بقولها " **تعتبر المعتقدات الدينية من الثوابت ، و**

أهم عناصر الثقافة، و لذلك تلعب المعتقدات الدينية دورا هاما في صناعة الثقافة و الرؤية للذات"[1].

و هذا يعبر عن أهمية عنصر الدّين في تشكيل الشخصية الفردية، و تأثيره في حياة الجماعة، و هو باعتباره ركيزة أساسية تشكّل ثقافة و هوية الإنسان.

إنّ الحديث عن الأمّة العربية ، و المجتمع الجزائري خاصة يلزم علينا الحديث عن الإسلام ، باعتباره الدّين الأكثر انتشارا في هذه الأرجاء ، و الإسلام هو الذي ارتضاه المجتمع الجزائري دينا ، و دخل إلى أعماق النفس الجزائرية منذ بداية ظهوره حيث كان دائما خلال مساره التاريخي مظهر هذه الأمة و هويتها و عامل من عوامل وحدتها الوطنية، فتعاليمه كلها تدور حول التعاون ، و التآزر و الأخوة بين أفراد المجتمع ، و تلك القيم التي تزيد في ارتباط الجزائريين بعضهم ببعض و سبب توحّدهم و نهوضهم ، و حماية مقوّمات شخصيتهم.

و بهذا أصبح الدين الإسلامي يمثّل عنوانا من عناوين هوية المجتمع الجزائري ، رغم ما واجهه من تحدّيات شديدة جراء السياسة الاستعمارية ، التي حملت معها مخاطر هدّدت كيانها و مقوّماتها و خصوصياتها، بل هدّدت أمنها الرّوحي و الثّقافي ، إلاّ أنها فشلت في تفكيك عناصر الشخصية الجزائرية ، و بقي الإسلام هو المصل الواقي الذي يقي مجتمعنا الجزائري من ويلات التشتّت و الانهيار.

جدل الهوية في الرّواية الجزائرية :

إنّ الحديث عن الرواية الجزائرية يقودنا حتما إلى الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و هذه الاخيرة التي رفضتها ظروف تاريخية لم تمنع هذا الأدب من تأدية رسالته للشعب الجزائري ، حيث اضطرّ الروائيون " **محمد ديب ، مولود فرعون ، مولود معمري ، و آسيا جبار"**

[1]- لطيفة ابراهيم خضر ، هويتنا الى أين ؟ ، ص 246.

قبل سنة 1962م لنشر أعمالهم في مراكز بعيدا عن الوطن و التي ارتبطت بالمؤسسة الكولونيالية حيث ظلّ ارتباط هؤلاء الروائيين الجزائريين بالمراكز قائما حتّى بعد الاستقلال.

إنّ الظهور المتأخر للإنتاج الروائي العربي الجزائري راجع لعدّ اعتبارات أهمها :

-تأثر الرّواية الجزائرية بالرّواية الأوروبية، و هذا راجع إلى الاطلاع و التفتّح على الثقافة الفرنسية.

-استبعاد و محاربة اللغة العربية كونها العنصر الفعّال، و المرآة العاكسة لها.

هذه الظروف التي أثّرت على الثقافة الجزائرية، و التي أدّت إلى تأخر نشأة الرواية الجزائرية، لأنّ الجزائر كانت في هذه الفترة " **ما تزال طالبة بكرامتها، و استرجاع شخصيتها التي حاول الاستعمار الفرنسي تغييبها، و طمس معالمها** "[1].

فالانفتاح على الآخر ، و عن حضارته و ثقافته ، يؤدي إلى الانسلاخ عن الهوية ، و الانفلات من المبادئ و القيم ، فتصبح الهوية الثقافية معرّضة للذوبان ، و الاضمحلال في حضارة الآخر، و قد تكون نسخة متماثلة مع هويته، و في حالة انعدام شعور الفرد بهويته ، يتولّد لديه أزمة هوية ، و بالتالي تؤدي إلى أزمة وعي ، و هذا ما يؤدي إلى ضياع نهائي للهوية .

فالكتّاب الجزائريين بسبب اللغة لم يكونوا قادرين على الوصول الى مخاطبة شعبهم ، هذا " **لما كانت اللغة الفرنسية تعتبر اللغة الرسمية في البلاد العربية ، و اللغة العربية هي اللغة الأجنبية** "[2] و هذا ما منعهم من انتاج أدبا نابعا من ثقافتهم الفكرية ، و بأصولهم العربية ، فكان بحاجة إلى التحرّر من تلك القيود التي تكبّله من أن ينتج أدبا صادرا من قناعته الفكرية ، لأن الثقافة العربية تتغاير و تتنافى و الثقافة الغربية ، كون الأولى يمثّل الدّين الإسلامي مصدر تفاعل قوّتها ، أما الثانية ناكرة غير مسلمة : ومن هنا نطرح التساؤل التالي :

[1]- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ،ص 72.

[2]- المرجع نفسه ، ص 72

هل الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، هي رواية جزائرية، أم فرنسية ؟.

هذا الطّرح يعدّ أحد التناقضات التي أفرزها الاحتلال الفرنسي للجزائر، و هذا التناقض يقتصر حول ذلك الجدل المتواصل في انتشار ظاهرة الثنائية اللغوية في بلادنا ، و لفهم ظاهرة الانقسام ، و الانقلاب الثقافي في ساحة الجزائر الإبداعية من العربية إلى الفرنسية ، و من الفرنسية إلى العربية .

فقد اعتبر بعض الدارسين أن هوية الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية هي رواية ذات جنس فرنسي باعتبار اللّغة التي كُتبت بها ، و اعتبرها آخرون جزائرية باعتبار تلك الحقائق المحلية التي عبّرت عنها ، و ذهب آخرون إلى عدّها رواية متعدّدة الهويات باعتبار اللّغة الفرنسية، و روح لم تخرج عن جزائريتها.

إذا وقفنا عند أعمال بعض الكتاب الجزائريين ، ككتاب ياسين ، و محمد ديب ، و رشيد ميموني الذي يرى أنّ لغة المستعمر كانت ملجأ يلتزم الكاتب فيه بالدّفاع عن القضية الوطنية ، و في هذا السياق يقول **ادريس خوري " أن تكتب باللغة الفرنسية يعني أنّك رجل الاختلاف و رجل التّدمير، بهذه اللغة تستطيع أن تكتب ما تشاء ، و تنشر ما تشاء ، لأنّ جسدك متحرّر من عقال البدوي ، و لأنّ ذاتك منشطرة بهذه اللغة تستطيع أن تنفذ الطابوهات ، لأنّ الفرنسية لغة جدّ جريئة ، فهي لغة علمانية ، و غير مقدسة"**[1]

حيث يصبح الأمر مختلفا بعد الاستقلال ، كما الشأن مع مالك حدّاد الذي توقف عن الكتابة **"كونه أدرك أنّه يتوجّه إلى جمهور آخر من القرّاء غير الذي يجب أن يتوجّه اليه"**[2]

حيث يعدّ الاستمرار في الكتابة باللغة الفرنسية، خيارا شخصيا لانجذاب الكتاب وولعهم و الانقياد نحو اللغة و الثقافة الفرنسية.

[1]- الطاهر روابنية ، مقاربة في الخطاب الروائي الجزائري ، نقلا عن " في الألفة و الاختلاف بين الرواية العربية و الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية ، مجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر د. ط ، 2011 ، ص 33.

[2]- الطاهر روابنية ، مقاربة في الخطاب الروائي الجزائري، ص 34

المبحث الثالث: التاريخ و المجتمع و تمثّل الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية.

تهتم الرواية الجزائرية بمسألة الهوية التي تشكّل خصوصيتها الأساسية ، فقد مثّلت بؤرة الصّراع للعمل الروائي ، فأغلب تلك الكتابات الإبداعية عالجت الجوانب المختلفة للواقع الاجتماعي .

فهوية أيّة أمة هي صفاتها التي تميّزها من باقي الأمم، لتعبر عن شخصيتها ، هي جوهرها و حقيقتها، فإنّ " **هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدّد لا تتغيّر ، تتجلّى و تفصح عن ذاتها ، دون أن تخلي مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة**"[1].

فالرواية الجزائرية تتربّع على مكانة مرموقة، تحمل صوت الأديب و آلام الشّعوب التي لا طالما كانت من الاستعمار الفرنسي الذي عمل على طمس هويتها التي تتغذّى من **التاريخ**، و يعتبر جوهرا أساسيا و مصدرا ثابتا، و الذي يحيلنا إلى الهوية.

ثانيا: **المجتمع** الذي قد يكون له تأثير في التاريخ ، باعتباره عنصر متغيّر .

فالأدب الجزائري "**يقيّد الكتاب الجزائريين ضمن اطار الحدود التاريخية و الاجتماعية لبلادهم**"[2] .

علاقة موضوعات الرواية ذات طابع تاريخي بالهوية:

وصلت الكتابة الروائية إلى ظاهرة توظيف التاريخ ،حيث يحضر هذا الأخير في المقام الأوّل ،مادام التاريخ ليس ماض فقط ،بل يحدث تأثيرا في واقعنا الحالي ،فهو بمثابة حاضنة قوية لمجمل عناصر الهوية و قد تم توظيف التاريخ الجزائري كمادة أساسية في الكثير من الروايات الجزائرية ،نظرا لارتباطها بالواقع التاريخي و السياسي للإنسان الجزائري .

[1]- ينظر محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة للطباعة و النشر ، مصر، ط1، 1999، ص06.

[2]– عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري ، تر: محمد صفر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، د.ط، د.ت، ص 51.

فالرواية الجزائرية وجدت من خلال رجوعها إلى تاريخ الامّة ممثلا في ثورة التحرير كموضوع لها حيث يشكل موضوع الثورة الجزائرية أحد الموضوعات التي خاض فيها الكثير من الكتّاب بعد الاستقلال .

فشكّل هذا الموضوع أهم المضامين التي تناولتها الرواية الجزائرية لاسيما في السنوات التي عقبت الاستقلال .

فانطلقت من الحاضر الذي يمثّل زمن الاستقلال ،لكنها تغوص في أعماق التاريخ ،و هي بذلك ترسم صورة حيّة عن المجتمع الجزائري الذي راح في رحلة كفاح ضدّ المستعمر الفرنسي ،و قد حاول الكاتب تشريح الواقع الوطني بعد الاستقلال للكشف عن مجمل الاختلالات و الملابسات من خلال رحلة كفاح الانسان الجزائري لتأكيد ذاته أمام الآخر ،و هذا الآخر أوروبي على وجه التحديد ،و هو يتمثل في المستعمر الفرنسي خاصة الذي يصوّره الكاتب بممارساته الوحشية ضدّ الشعب الجزائري .

فإننا نستطيع أن نضيف هنا "**أنّ الوعي بالتاريخ يكسب أصحابه إلى جانب عمرهم و عمر أسلافهم ،أيضا عمر الأجيال التي لم تأتي بعد ،لأنّ الوعي بالتاريخ تتجاوز فائدته الحاضرة ، و بناء واقعنا معاش ،إلى التأثير في المستقبل القريب ،و من ثَمّ فنحن نضيف إلى أعمارنا أعمار الأقدمين ،و نسهم كذلك في زيادة أعمار الاجيال القادمة ،بما نضعه على دروبها من أضواء ، و ما نقدمه لتجاربها و خبراتها من إضافات** " [1].

فالتاريخ ليس مجرّد أحداث تروى ،ففيه نعثر على شخصية الأمة و هويتها ،و مستقبلها يتمثل في إحياء الماضي ، لأنّ المستقبل هو الماضي الذي وقع إحياؤه ،فإذا انهدم الماضي و انهار ،فإنّ عودته ضرب من المحال باعتباره عنوانا للهوية " **و لذلك فإنّ التأكيد على أهمية التشبّث بالهوية و**

[1]– رفيق العجمي ،موسوعات مصطلحات علم التاريخ الاسلامي ،ناشرون مكتبة لبنان ،لبنان ،ط1 ،2000 ،ص356

الاعتزاز بها ضرورة للحفاظ على الحقوق التاريخية المشروعة و المتوارثة للأمم و الشعوب جيلا بعد جيل "[1].

لقد كانت الرواية الجزائرية ذات صلة بالوضع الوطني على العموم ،حيث كان الأديب لسان الأمة المعبّر عن معاناتها و طموحها ،و كان دائما ضمير الأمة ،و صدى همومها ،فغرضه الأساسي ايقاظ الوعي لدى الجزائريين ،و بعث روح العزيمة في نفوسهم لما عاشوه من ذلّ و إهانة و حرمان تحت وطأة الاستعمار ،فسخّروا أقلامهم للتعبير عن هذه الأوضاع و بذلك تلوّنت كتاباتهم بموضوع الثورة الجزائرية التي كانت حاضرة و بشكل ملحوظ في الرواية "**فقد كانت نبعا عذبا و أنشودة في الأفئدة المضطربة عزما و إصرارا في مواجهة الاحتلال الفرنسي "**[2]

فموضوع الثورة الذي يحضر في الرواية الجزائرية راجع للوضع الذي تميّزت به الجزائر و محاولتها للتخلص من الاستعمار ذلك المتجرّد من المشاعر الإنسانية .

لكنّ الرواية في الجزائر لم تظهر إلا بعد الاستقلال نظرا للظروف القاسية التي عاشتها الجزائر باستثناء بعض الروايات كرواية **غادة أم القرى لرضا حوحو** التي قدّمها للمرأة الجزائرية و التي تعالج وضعها في الحجاز قائلا "**إلى تلك التي تعيش محرومة من نعم الحبّ ... من نعم العلم ... من نعم الحرية ،إلى تلك المخلوقات البائسة المهملة في هذا الوجود "**[3].

و رواية **الحريق لرشيد بوجدرة** و **الطالب المنكوب لعبد الحميد الشافعي** ،و قد تلت هذه الروايات محاولات أخرى ،حيث أصبح الكاتب الجزائري يعبّر بكل حرية عن قضايا الثورة الجزائرية .

[1]– عبد العزيز بن عثمان التويجري ،التراث و الهوية ، ص10

[2]– عمر بن فينة ،دراسات في القصة الجزائرية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،د.ط ،1982 ،ص22

[3]– عمر بن فينة ،في الادب الجزائري الحديث ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،د.ط ،1955 ،ص197

فبعد الاستقلال عاد الروائيون بنظراتهم إلى سنوات الحرب الماضية ،و انتقوها موضوعا لكتاباتهم يعتقد **معمري "أنّ حرب التحرير الجزائرية كانت حربا من نوع خاص ،فمن المستحيل أن تصبح رمادا مجرّدا أو تنتهي و تتوقف ،و هو يؤدي إلى أنّ الثورة يجب أن تؤدي إلى تأليف كتاب ضخم أو بالأحرى ملحمة لها ضخامة رواية حرب و سلام "**[1].

و من بين هؤلاء الروائيين نجد كل من **الطاهر وطار** من خلال روايته "**اللاّز**" التي نجده قد عالج فيها موضوع الثورة ،و قد قامت على البطلان "**اللاّز**" ووالده "**زيدان**" ،هذا الأخير يلتحق بصفوف جبهة التحرير من أجل هدف واحد ،و هو الاستقلال أما الشخصية الثانية "**اللاّز**" فنجده ساعيا إلى فرض ذاته في المجتمع بالقيام بعمل بطولي ،و هدفه من هذا العمل كهدف أبيه .

كاتب ياسين تبنّى لنفسه موقفا في كتاباته التي عالج فيها القضية الوطنية ،و هذا نجده في روايته المشهورة "نجمة" ،"**فهو يبعث الموطن الأم في شخص امرأة يسميها نجمة و الحادثة التي أثرت تأثيرا بالغا على أعمال ياسين الأدبية هي مذابح سطيف ، و كانت الكتابة هي الأسلوب النضالي الذي اختاره في سبيل نصرة القضية الوطنية الجزائرية**"[2].

فقد أدّت مذابح سطيف عام **1945م** إلى أن يتجه ياسين باهتمامه ، و ينصرف بنظرته إلى المسألة الوطنية.

أما **مولود معمري** في روايته الاولى **الهضبة المنسية** صوّرت الوضع في الجزائر أثناء فترة الاحتلال كما دارت روايات **مالك حداد** حول حرب الاستقلال نلمسها من قريب أو من بعيد .

[1]- عايدة أديب بامية ،تطور الادب القصصي الجزائري ،ص72

[2]- المرجع نفسه ، ص 73.

كما لا يخفى علينا **عبد المالك مرتاض** و **مرزاق بقطاش** ، **محمد عرعار**، و منهم من كان تحت وطأة الاستعمار فعايش أحداث الثورة ، فكانت " **ظروف الثورة أدّت إلى انشاء الملاحم الشعرية منها إلى الكتابة الروائية، التي تتطلب معاناة أعمق و نظرة أشمل ، و تجربة فنية أكبر**" [1] .

و هذا يشير إلى أن الأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر هي التي تفسر لجوء الكتّاب الجزائريين للتعبير في كتاباتهم عن هذه الظروف باعتبارهم كانوا ضحية لهذه الأوضاع.

و لا تزال الرواية الجزائرية تكتب تاريخها و تؤسّس ذاكرتها لحد اليوم ، كما جاء في رواية **أنا و حاييم للحبيب السائح** رواية الحرب و الفترات الساخنة في الجزائر فنجد السائح مشغولا كأشدّ ما يكون الانشغال بهاجس الهُوِية، و قضايا وطنية صاغها في عالم روائي طافح برائحة الجزائر في زمن الاستعمار الفرنسي و غداة الاستقلال .

فالتاريخ يمتد في حياتنا و ينتقل معنا إلى المستقبل، و هو بذلك سمة أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها و بصبغته تصطبغ.

طبيعة تعاطي الانتاج الروائي مع هوية المجتمع:

عبّر الأدب الجزائري رواية و قصة عن المجتمع الجزائري أحسن تعبير فالرواية كائن حي مكون من جسم و روح، جسمها هو هيكل القصة و أحداثها و حبكتها ، أما روحها فهي ما تحمله من قيم و مبادئ انسانية هي " **وجه من وجوه الحقيقة التي نعيشها ...إنها عين ضعيفة النظر لكنها شيخ خَبَرَ الحياة ، فيستطيع التعبير عنها دون رؤيتها بشكل جيد ،فقط قد يحتاج لسماعها أو تحسّسها حتّى يرسم ملامحها** "[2] .

[1] – محمد مصايف ، الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية و الالتزام، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، د.ط، 1979، ص08.

[2] – فايزة خمقاني ،أثر الفضاء و الزمن في تقصي ملامح الهوية في رواية خرافة الرجل القوي لبومدين بلكبير ،مجلة الأثر ،العدد 28 جوان 2017 ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ،ص 250

فهي بهذا المعنى تطرح هموم و انشغالات المجتمع سواء أقدّمت و اقترحت حلولا لهذه المشاكل ، أم ألقت الضّوء عليها و أبرزتها ،ثم تركت للقارئ ايجاد الحلول ،حيث الرواية الجزائرية كان لها انعكاس لكل الأوضاع التي عاشتها الجزائر ،فعبّرت عن الهُوية الجزائرية من حيث أنّ الموضوع الأساسي الذي تناولته ارتبط بشكل خاص بالواقع الجزائري ،و تفاعلت مع عناصر هُويّة الشعب الجزائري من خلال مضامينها المرتبطة بالمجتمع وواقعه المحلّي .

من غير المعقول أن نجد شعبا من غير هُويّة و **"إنّ هوية الفرد يستمدّها من المجتمع ،ولا يمكن أن يكتسبها إلا من خارجه ،إذ أنّ المجتمع هو الذي يفرض عليه هُويّته من خلال الموقع الذي يحدّده للفرد داخل النسيج الاجتماعي العام "**[1].

ووفق هذا الطّرح نجد أنّ الفرد يستمدّ الهُويّة من شعوره القومي و انتمائه إلى مجتمع له خصائص و سمات اجتماعية ،و هذه الأخيرة تعبّر عن كيان ينصهر فيه أفراد ذلك الموقع الذي ينتمون إليه بتأثير من هذه الميزات و الخصائص التي تجمع بينهم .

إذن فالهوية " **تستمد ملامح مقوماتها من ثقافة المجتمع على اعتبار أنّ الثقافة تشكل المجموع المنسجم و المستمر للمعاني و الرموز المكتسبة المشتركة التي تعمل الجماعة على توصيلها ، و إعادة إنتاجها من خلال مختلف القنوات التي تنسجها من أجل هذه الغاية، تشكل هذه الثقافة التي يعمل المجتمع على إنتاجها، و الهوية الجماعية التي تترتب عنها و تتغذى منها "**[2].

لقد واصلت الرواية الجزائرية اهتمامها بالإنسان الجزائري من خلال تلك المضامين التي تناولت مجمل القضايا التي شغلت تفكيره، و قد حملت هذه الرواية الصدق في التعبير عن معاناة الانسان

[1]- محمد نور الدين أفاية ،الهوية و الاختلاف ،افريقيا الشرق للنشر و التوزيع ،الدار البيضاء ،د.ط ،1988 ،ص 20-21

[2]- محمد نور الدين أفاية، الهوية و الاختلاف ، ص،23، 22

الجزائري كما حملت " **جميع التقاليد و العادات و الطبائع و التصورات التي تريد أن تسجنه في قيود لا تنفصم** "[1].

فعندما أتيحت الفرصة للروائيين الجزائريين بالتعبير انصّب اهتمامهم على المشاكل الاجتماعية التي تواجه مجتمعهم و الأحداث التي عرفتها الجزائر سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي استوجبت وقفات الكتّاب للإفصاح عنها، و هذا ما أنتج عدّة أدباء رسموا واقعهم المرير، و لم يجدوا أحسن من الوضع الاجتماعي، الذي كان يعجّ بالمشاكل التي هي بمثابة نقطة بداية لكتابة الرواية، هذه المواضيع كانت تصبّ في قالب واحد، و يتجسّد موضوعها في حياة الانسان في بيئة معينة و في وضعه الاجتماعي و علاقاته بالإنسان و الأرض و موقفه من الأنظمة و القوانين الدينية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية ، و أخيرا في مشاعره و عواطفه .

حيث سايرت الرواية التحولات التي حدثت في المجتمع و مسّت جميع جوانب الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية.

و بما أن الروائي يعيش هذه التحولات ، فبالتأكيد سينقلها في إبداعاته ، كونه كان ضحية لهذه الأوضاع ، و بذلك يساهم في إثراء هذا الفن من خلال تلك التجارب التي عايشها أثناء فترة الاحتلال و ما بعده " **و سواء عانى الروائيون الجزائريون حالة الحرمان هذه أو شاهدوها في مجتمعهم ، فإنهم لم يبقوا ولا ريب جامدين اتجاهها ، فقد جعلوا من أنفسهم بصورة تلقائية شهودا على الأوضاع التي يحياها شعبهم ، التي كانت تتجلّى من خلال الحياة الاجتماعية للجزائريين** "[2] فأول ما يثير انتباه الأديب هي تلك الحلقة الاجتماعية التي يحاول فيها تحديد هذه المشاكل الاجتماعية، و محاولة بيان اسبابها من أجل معالجتها.

[1]- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الادب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1985، ص98.

[2]- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص72.

و من بين المواضيع التي ركّزوا عليها بشكل خاص هو ذلك المرض الاجتماعي الخطير ، ألا و هو "**الفقر**" ، الذي من ورائه تتأتّى كافة المشاكل، إذ كان الشعب الجزائري يعيش على حافة المجاعة، فقد عانى مرارة الجوع و الحرمان اليومي ، و قد كان الرّيف أشد تعرضا لهذه المأساة من المدن إذ دفعت بهم لأن يغادروا إلى المدن، و هم في حالة مزرية " **و تحت وطأة السّخط من الأوضاع البائسة المزرية ، و العذاب المرير من رؤية الأطفال الجياع، ارتحل العديد من الجزائريين إلى فرنسا ، يبحثون فيها عن مصدر لإعالة أسرهم و ذويهم و كانت الهجرة أمرا شاقا، و لا سيما لشعب كثير التعلق بأرضه ، كالشعب الجزائري ، لكن الضرورة حتمت عليه الهجرة** "[1] .

حيث أدت الهجرة إلى انفصام الأسرة الجزائرية، و بقي الأطفال برعاية أمّهات غير مؤهّلات، و غير قادرات لدفع أجور المدارس لتعليم أطفالهنّ، و ذلك في غياب أرباب الأسر فلم يعرف الشباب الجزائري معنى الطّفولة و مسرّاتها ، نظرا للظروف المالية التي يعيشها الآباء ، و هذا ما تجلى في رواية " **ابن الفقير لمولود فرعون** " التي تروي أحداث مفصلة عن حياة القبائل في ظل الصعوبات و المشاكل التي عانى منها سكان المنطقة جراء الفقر أثناء فترة الاحتلال ، و ذلك من خلال أسرة قبائلية، اعتبرها أسرته هو، و كأنه يصف طفولته مراهقته .

كما الشأن مع **محمد ديب** الذي عالج هو أيضا هذه الأوضاع المالية المقلقة التي عاشتها عائلات و أسر الكتّاب الجزائريين " **و لم يكن ديب أحسن حظّا من فرعون** "[2] كونه عايش تلك الظروف.

فقد هاجر العديد من الجزائريين إلى فرنسا، حيث تمّ احتكاك المهاجريين الجزائريين بالحضارة الغربية، فكثير منهم من تخلّص من عاداته و تقاليده ، و تنكر لذاته و معتقداته و أفكاره ، فتأثير الغرب في هذه الأخيرة سبّب حالة من اللاّتوازن في مجتمع مشتّت ، و من ثمّ وجد نفسه أمام مرض أخطر من سابقه يتمثل في جرح الهوية و أتعاب المنفى، ظنّا بأنّ الهجرة هي الحل الأنجع لمشكلة الفقر

[1]- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 89.

[2]- المرجع نفسه ، ص 92.

و نجد تناول لمسألة الاغتراب هاته في نفس الرواية السابقة " **لمولود فرعون**" التي تحدّث فيها عن هجرة شعبه، من بينهم والده إلى فرنسا للعمل كونه الحل الوحيد و الأمل الأخير لإعالة أسرهم، و اخراجهم من قوقعة الجوع " **حيث احتدت مشكلة البطالة ، و تضخمت مظاهر التفاوت الطبقي و ازدادت ظاهرة الهجرة الداخلية من الارياف و القرى إلى المدن و في ظل عجز الأنظمة عن تجاوز هذه الأوضاع ، تولّد عن ذلك تداعيات أزمة الواقع الاجتماعي**" [1] .

و هذا ما تحمله أيضا رواية " **المرفوضون لابراهيم سعدي** "و " **مأوى جان دولان لعمر بن فينة**" ، حيث كان موضوعها المحوري : الاغتراب و صراع القيم ، و مسألة الهوية.

و لقد تنوعت و تعددت مواضيع الرواية الجزائرية منها من عبّرت عن آهات سكان المدن ، و ضيق أزقّتها كرواية "**طيور في الظهيرة لمرزاق بقطاش**" ، و منها ما حمل موضوعها المرأة و المجتمع ، و ما بين المدينة و الريف ك: **متاهات الدوائر المتعلقة للحبيب منسي**.

و تعد القضايا التي تناولها الكتّاب الجزائريون قضايا اجتماعية واقعية، حيث "**لم يتكلّفوا العناء في نقلها، بل جعلوا من كتاباتهم تصويرا لواقعهم لا أكثر**"[2].

و يتضح لنا أن هؤلاء الروائيين تمسكوا بمجتمعهم ، و تشبّثوا بهويتهم رغم ما ساد المجتمع من عزلة و حرمان، و ما كان يحمله الواقع من تناقضات، فتلك الحالة الاجتماعية هي التي جذبت الأقلام من أجل البحث في أسبابها آملين وجود حلول لها.

فالرواية الجزائرية تروي حكاية الإنسان الجزائري و معاناته جرّاء الاستعمار الفرنسي، و ما خلفه من دمار نفسي و اجتماعي، و محاولته في استرجاع الهوية و معانقة الحرية ، فطبيعة أغلب المضامين

[1] – بوشوشة بن جمعة، النقد الروائي في المغرب العربي ، دار الانتشار النادي الادبي في منطقة الباحة، المملكة العربية الجزائرية، ط1، 2012، ص 88.

[2] – أبو القاسم سعد الله، دراسات في الادب الجزائري الحديث ، ص290.

التي تناولتها الرواية اهتمت بالموضوع التاريخي الذي يتمثل في الثورة، و الذي طغت عليه مجمل الموضوعات الاجتماعية التي مثّلت مشاكل ما بعد الثورة.

و ما يمنح النص الروائي قوّته كونه يسردنا لمجتمع، ويصوغ لنا تواريخ حقيقية و يكشف عن علاقة الأدب و المجتمع و التاريخ، و هذا ما نلحظه في الرواية الجزائرية كونها عالجت مواضيع تاريخية و اجتماعية.

الفصل الثاني: تمظهرات الهوية و أبعادها في رواية "أنا و حاييم "

- المبحث الأول : البعد التاريخي
- المبحث الثاني : البعد الثقافي
- المبحث الثالث : البعد الديني

المبحث الأول: البعد التاريخي.

يمثل سرد الهوية و التغني بالخصوصية الجزائرية ملمحا بارزا في العديد من المتون الروائية الجزائرية، و قد تكون رواية "**أنا و حاييم** " **للحبيب السائح** احدى أهم النصوص الروائية التي اشتغلت على اشكالية الهوية الجزائرية ، و هذه الأخيرة هي أهم تيمة أو هاجس طبع هذه الرواية.

يكتب الحبيب السايح، و هو شخصية أدبية راسخة في الجزائر منذ منتصف الثمانينات باللغة العربية ، و لقد أخذ مفهوم الوطن في رواياته أطيافا عدّة من الألوان و الصّور.

أنا و حاييم واحدة من الروايات التي اختيرت للجائزة الدولية للرواية العربية، و هي رواية جسّد لنا السائح من خلالها مفهوما عميقا للثورة عبر الصّداقة المتينة التي جمعت بين أرسلان حنيفي و هو مسلم جزائري، و بين حاييم بنميمون و هو يهودي تجنّس بالهوية الفرنسية، فالعلاقة التي تربط حاييم بأرسلان علاقة تاريخية محورها انساني و محرّكها سؤال الهوية، و كتابة السّايح عن تلك العلاقة كان نابعا من قناعته بأنّ اليهود الجزائريين شكّلوا جزءا لا يتجزأ من مكونات البلد البشرية و التاريخية و الثقافية، هذا ما ورد في حوار له مع لينكس كاري محررة في صحيفة أرابليتي المدرج على القائمة الطويلة للجائزة الدولية العربية لسنة 2019.

الحبيب السائح يستعيد لحظة تاريخيه مهمة هي حرب التحرير ليقدم قيم التعايش التي لجأت إليها الثورة و حقبتها، فيعود في " **أنا و حاييم** " إلى الذاكرة و أوجاءها و يعود لتصفّح دفترها، و يفيض في جوانبها الثقافية و الدينية.

في الرواية التي تجري أحداثها بين سعيدة و معسكر و العاصمة و وهران، يسرد الظلم و المعاناة التي عاناها الجزائريون إبان الاحتلال الفرنسي" **فكم ستكون الطريقة شاقة من أجل أن نتخلص نحن و أهالينا ممّا نحن فيه من ظلم و قهر**"[1] .

غير أنه يشير إلى من انخرط من اليهود الجزائريين لمقاومة فرنسا الى جانب مواطنيهم من المسلمين، كحاييم الذي طالما اعتبر نفسه جزائريا ، كما جاء على لسانه يوم تسجيلهما بجامعة الجزائر، "... **لم اعتبر نفسي يوما فرنسيا**"[2] ، فكان نموذجا مثاليا لفئة من اليهود الجزائريين.

و لم يكتب السائح عن صورة اليهودي ، بل عن الجزائري الآخر الذي كان يتكلم اللغة نفسها و يلبس اللباس التقليدي نفسه، و كان لا يفرّق بينه و بين صديقه سوى الديانتين.

يكتب لنا الروائي تلك المحطات التي مرّبها ارسلان حنيفي و حاييم بنميمون بدءا من طفولتهما إلى أن قذفت بهما الأقدار إلى النجاح وصولا إلى الجامعة التي فتحت أبوابها على مصراعيها أمام هذا الثنائي محطات مشتركة ،معاناة متقاسمة ،رفض وتهميش، تنديد واحتقار من الدولة الكولونيالية.

سأحاول فيما يلي تتبّع ملامح الهوية وكيف تم رسمها من خلال أبعادها ومقوماتها "**التاريخية والثقافية والدينية** " في هذه الرواية.

فبعد تقديم قراءة أولى من أهم محطات الرواية ،سأشير إلى أهم عناصر الهوية وهو "**التّاريخ**" والأصول "**فالعناصر التاريخية كالأصول التاريخية تعد من عناصر الهوية المهمة**"[3].

تنطلق أحداث الرواية من الحاضر الذي يمثل زمن الاستقلال لكنها تعود بنا إلى التاريخ و تغوص في ثناياه ، فتستقي أحداثها من رحلة كفاح الأهالي ضد المستعمر الفرنسي.

---

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس ط1، 2008، ص96.

[2]- المصدر نفسه، ص76.

[3]- أليكس ميكشيللي، الهوية ، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993، ص19.

ولا اختلاف في أن التاريخ يحرك مسار بناء الهوية ، فكل تلك الحضارات التي عمّرت بالجزائر حاولت أن تغرس ثقافاتها و أن تترك بصماتها في هوية الشعب الجزائري ، فقد حاول الاحتلال الفرنسي للجزائر بشتى الطرق محو هوية الشعب الجزائري، و لكن خوض تلك الحرب التحريرية أسفرت لهوية جديدة كتبت بدماء الشهداء الذين ضحّوا بالنفس و النفيس من أجل حرية البلد و كرامته، و من أجل الحفاظ على مقوماته و ركائزه الأساسية " **فإنّ الما يجب لإزالة الظلم التاريخي يتطلب ثورة مسلحة"**[1].

هذا ما جاء على لسان حسيبة وصّال صديقة أرسلان في الجامعة من قسم الفيزياء و الكيمياء

و البيولوجية إثر نقاش حدث بينها و بين أرسلان و الصادق حول تلك المسببات التاريخية، فيجيبها الصّادق مؤكدا "**لأنها الوسيلة الوحيدة** "[2] .

فقد ظل الأهالي في رحلة بحث شاقة عن مبادئهم و استعادة رموزهم الوطنية التي تشكل هويتهم، فلم يجدو السبيل إلى ذلك سوى ثورة مسلحة تشق ظلمة فقد الحرية، و مأساة العيش في دهاليز الانكسار، و العنصرية التي كانت تظهرها الإدارة الفرنسية نحو الجزائريين ،و الدونية التي تميزهم من أولئك الأوروبيين و هذا ما كان يؤلم و يؤرق أرسلان فيقول" **ظلت تحزنني صور الفقر و الحرمان و التشرد التي عليها الأهالي بالقدر الذي أغاضتني العنصرية التي كانت غالبية الأقدام السوداء الاوروبيين تظهرها تجاه الأهالي المسلمين ... و كنت لا أجد سوى غيظي أبديه لحاييم مما يظهره الأقدام السوداء الأوربيون من ازدراء اتجاه الأهالي يبلغ حد الإهانة ، خاصة من يستخدمونهم في الحمالة و في التنظيف و كأنهم أقنان، ينهرون طالبي العمل منهم مثل حيوانات جرباء يجب أن تبعد و يشمونهم"**[3] .

---

[1]- الحبيب السائح ، أنا و حاييم، ص87.

[2] - المصدر نفسه ، ن. ص

[3]- المصدر نفسه، ص74- 75.

فعندما يحس الإنسان بأن هناك ما يهدّد وجوده يحُثّ الخُطى إلى تأكيد ذاته، فلا تتبيّن ملامح الهوية إلا باللقاء مع الآخر ، ففي **1954:ليلة عيد الأموات** يقول حاييم " **ها هي المدينة التي كان يتراءى أنها ستظل هادئة يمتد إليها اللّهب، فتفزع لهذه الحرب** "[1] ، و ها هم يرون أنّ "**إنسان هذه الأرض ، الأنديجان كما ظلوا يعتبرونه ينهض من رماد الاحتقار التاريخي الذي مرّغوه فيه ليواجههم بعد أن ظنّوا أنّهم دجّنوه إلى الأبد**"[2].

و بلغة السّرد صوّر المؤلف أيام أرسلان حين التحق بالجبل لخوض حرب التحرير، و بيّن مدى صعوبة الأيام لمقاومة الجوع و الآلام و الأرق و الارهاق و الخوف أثناء الاشتباكات، و ما مسّ شخصه من مرض و مغص في الأمعاء شأنه شأن جميع المقاتلين، و بيّن مدى حبّه للوطن و التّفاني في خدمته بالرغم من مكانته و شرفه التي كان يحظى بهما والده، كونه ابن قايد المنّور حنيفي، ولكن هذا لم يمنعه من الالتحاق بالجبل مع أبناء وطنه، وظلّ على عهده بالجهاد و النضال، و كان قد أصرّ على قائد الفرقة بأن الجنود في حاجة إليه ليعلمهم و يدرّس من لا يحسن منهم القراءة و الكتابة، و كان هذا يشعره بالفرح و يظهر ذلك من خلال هذا المقطع السّردي " **فإني غالبا ما شعرت بغبطة مهدهدة كلما رأيت أولئك الجنود يحملون إلى جانب أسلحتهم دفاترهم و بعض الكتب و أحسست قلبي رقص كلما نادوني " استاذ "** [3] ، حيث ارتأى أرسلان البدء في تعليم أبناء وطنه الأحرار القراءة و الكتابة ،فقد رسم لنفسه كفاحا من نوع آخر ،وهذا بفضل تكوينه التعليمي.

تباينت مساهمة المرأة الجزائرية في الرواية خلال الثورة التحريرية بين العمل الميداني و النضال الكفاحي حيث يأخذنا الروائي إلى دور المرأة و وقوفها جنب الرجل في مواجهة آلة الاستعمار و الكولون لأجل نيل الحرية و استنشاق هواء الاستقلال و لم تتردد في تحمل المسؤولية، فناضلت و قاومت و كافحت الاستعمار الفرنسي بكل الطرق و أخذ نشاطها عدة أنماط و أشكال،

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم ، ص146.

[2]- المصدر نفسه، ص132.

[3]- المصدر نفس ، ص176.

فالمشاركة التاريخية للمرأة الجزائرية في صفوف الكفاح المسلح كان عبر تأدية مهام عديدة اقتضت عليها درجات من الخطورة، فلقد استحضر **الحبيب السائح** من خلال هذه الأحداث التاريخية ذلك الدّور الفعال الذي قامت به **زليخة النضري** حين التحاقها بالجبل ، يقول **أرسلان** " **لم تكن تعلم أن صعودها إلى الجبل، بعد عامين من صعودي لتلحق بالفرقة التي كنت انتميت إليها، شكّل حدثا استثنائيا بالنسبة إلى الجنود الذين كانوا يسمعون، من حين إلى آخر، أن في هذه الكتيبة أو الأخرى جنديات مقاتلات أو ممرضات و لكن من غير أن تراهُنّ أعينهم، كما زليخة بلحمها و عظمها، بشبابِها ووسامتها**".[1] فلطالما تغنّت زليخة لتثير حماس المجاهدين فبصمودها و جرأتها زاد الثوار اصرارا و عنادا أكثر، و كانت تقدم المثال بشجاعتها و تضحياتها، يضيف أرسلان قائلا " **أنه ليس طبيعة مقصورة على ذكوريتنا نحن أهل هذا البلد أن تكون المرأة حافزا نفسيا قويا في الدفاع عن الشرف حتى الموت**"[2] .

فهذا المخلوق الضعيف المفعم بالقوة تصدّى لتعسّف و قهر المستعمر الغاشم و مساهمته في تحرير الجزائر.

و تسارعت الأحداث إلى أن جاءت اللحظة في التاريخ الوطني التي أعلن فيها استقلال الجزائر العظيمة ، و التي اقيم في كل مكان بها احتفالات كبيرة " **فارتفع هتاف "تحيا الحرية"، متضخما متناغما**"[3] . و لقد عبّر الكاتب في الرواية عن المباهج التي عمت الشوارع، وها هي اليوم بعد أن وضعت الحرب أوزانها يتحول " **هؤلاء الذين كانوا أمس مجرّد رعايا و أنديجان يواجهونهم الآن عينا في عين بلا خوف ملوحين في وجوههم برايات النجمة و الهلال، هاتفين "تحيا الحرية" على زغاريد نسائهم بأعلى أصواتهن في العبايات و الحياك، و قد كشفن عن وجوههن**" متناسين ما وقع نازعين

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم،ص 176-177.

[2]- المصدر نفسه، ن.ص

[3]- المصدر نفسه، ص227

عن وجوههن غمامة القهر، كيف لا و قد انتهى زمن الاحتقار و الحرمان و ها هم أخيرا يؤكدون وجودهم و يثبتون أحقيتهم في حياة كريمة و هوية جزائرية حقّة ، وتجذر جزائري مؤكدّ.

إلا أن جزائر الاستقلال لم تحظى بالمستقبل الواعد كما كانت تحلم الذات الجزائرية بسبب العامل السياسي فما حدث هو الانحراف عن مشروع بناء دولة وطنية، ترتكز على هوية جزائرية متفتحة على كل أبعادها ، فنرى خوف أرسلان جليا في ثنايا الأحداث :

" أنا خائف على مستقبل البلد، يا زليخة

لن تكون سوى مرحلة انتقالية

لست مطمئنا ،قلبي يحدثني بما هو أسوأ

أنت تعرف أن بلدنا ليس وحده الذي مرّ بتجربة فترة ما بعد الاستقلال المضطربة ، قالت بلا وثوق"[1] .

فيذهب السارد إلى أنّ الوضع الجديد الذي فرضه زمن الاستقلال و ما ينطوي عليه من تحولات، قد أدى الى وضع معقد على مختلف الأصعدة الاجتماعية و الادارية و الاقتصادية.

أنا و حاييم رجعت إلى تاريخ الأمة الجزائرية متمثلة في ثورة التحرير كموضوع لها ، فالحديث عن تاريخ الجزائر يُحيلنا إلى الحديث عن هوية الذات الجماعية ،و أنّه لا يدعُ للشك سبيل قول أنّ هوية الجماعة مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخها ،ولا يمكن تصوّر هوية خارج البعد التاريخي للجماعة ، و التاريخ في الجزائر له أثره الجليّ في حفظ الذات الجزائرية ، فشخصيتنا الوطنية قائمة واضحة في تاريخنا الوطني و في حوادثه الجسام ، و بالتالي فهو مقوّم من مقوّمات هويتنا ، و هذا ما نوّهت به رواية انا و حاييم.

[1]- الحبيب السائح ،أنا و حاييم ، ص 292.

المبحث الثاني: البعد الثقافي.

الهوية الثقافية هي المعبّر الأساسي عن الخصوصية التاريخية لمجموعة ما أو أمة ما، إذ ليس ثمّة تاريخ بلا ثقافة، فالخصوصية الثقافية تعني أنها عناصر خاصة بمجموعة اجتماعية معينة، هي عنوان للذات و روح تنبض، تعدّ الجزء المكتسب في بنية الهوية، فلكل أمّة ثقافة تستمدّ منها عناصرها و مقوّماتها ، و لكل مجتمع ثقافته التي يتّسم بها ،فهي تتشكل ممّا يقرّره المجتمع من أفكار وقيم ،فهويّة أمة ،ما هي إلا مجموعة الصفات أو السّمات الثقافية التي يشترك فيها جميع الأفراد الذين ينتمون إليها و التي تميزهم عمّا سواهم.

الثقافة هي بمثابة روح الهوية و هي الطريقة التي تتضمن نمط التفكير و أداب السلوك و المعتقدات و القيم التي تحكم الجماعة، و هي " **كل مركب على المعرفة و المعتقدات و الفنون و الأخلاق و القانون و العرف، و غير ذلك من الإمكانيات التي يكسبها الانسان باعتباره عضوا في المجتمع**"[1].

و هذه هي التي تصنع ملامحه و هويته ،و تحافظ على تماسكه و تحصينه من عوامل الانحلال و التشرذم ، فالمجتمع الذي تُخترق ثقافته تُمسخ هويته.

عُدّت الثقافة أداة صراع بين الشعوب فكثيرا ما تكون النواة التي تنفجر منها الصراعات، كونها تمثل انعكاس لصورة حضارة أمة ما من جميع نواحيها، و هذا الصراع يعتبر خدشا في جذور الهوية .

عاشت الجزائر عبر تاريخها ملابسات خاصة نحتت خصوصيتها الثقافية، و التي تختلف فيها عن شعوب عربية أخرى ،تشكّلت ثقافتها و تطورت عبر التاريخ من خلال الحضارات التي استوطنت المنطقة، فالمجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فمن التعدد الثقافي فاغترفت من ثقافات عديدة لتشكل ثقافة للشعب الجزائري.

[1] – فاطمة الزهراء سالم، نحو هوية ثقافية عربية اسلامية، دار العالم العربي ، القاهرة، ط1، 2008، ص30.

إنّ رواية " **أنا و حاييم** " للروائي " **الحبيب السائح** " تجسد و تُصور ثقافة المجتمع الجزائري، فهذا العمل السردي يعيد سرد الحياة اليومية للبطل أو المحطات الكبرى التي مر بها في حياته، و أبان المؤلف عن مجموعة الافكار و المعتقدات و عن القيم الاجتماعية التي يتحلّى بها المجتمع الجزائري ، و عن الأشياء التي يضعها و يمارسها، و عن أساليبه و معاملاته في الحياة اليومية و عن المنشآت التي خلّفتها الحضارات التي عمّرت بالجزائر ، كما أبدى المؤلف هذا على لسان " **حسيبة وصال** " إثر حديث وقع بينها و بين أرسلان و الصادق هجّاس عن مناطق إقامة كل منهم ،معرّفة بمكان إقامتها قائلة "**القصبة هي المدينة الأصلية للجزائر التي بُنيت على أنقاض رومانية، و ما حولها لم ينشأ إلا مع وقوع الاحتلال** "[1] ، مضيفة مؤكدة " **لكن للقصبة ذاكرة تقول لنا إياكم أن تنسوا أنّي الوجود الأصلي لكم** "[2] .

و الثقافة عبارة عن مجموعة الأنماط السلوكية و التي تؤثر في سلوك الفرد الموجودة في تلك المجموعة و تشكل شخصيته و تتحكم في خبراته و قراراته.

و ترِد كلمة الثقافة في اللغة ،و هي العنصر الأساسي للهوية و المكوّن الرئيسي للثقافة ،و المعبّر عن الرّوابط الموجودة بين الأفراد ،و بالتالي تكون ملازمة لهوية الإنسان و المعبرة عن فكره و ثقافته و انتمائه" **فحياة الأمم تقوم بلغاتها ... أما الموت بالنسبة لها، فليس إلا الحرمان من اللغة الخاصة بها** "[3] ، أي أنّ اللغة تعزّز و تقوّي التُراث و الثقافة و تمنح الهوية قيمتها ،و هذا ما أدركته فرنسا إدراكا عميقا بأنّ اللغة العربية هي الرّابطة القوية بين ماضي الجزائر و حاضرها ،و لهذا سعت بكل الوسائل إلى القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية و انتمائها اللغوي ،و لهذا نجدها قد وضعت اللغة العربية صوب عينها ،منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر، و حاولت بشتّى الطّرق لطمسها

[1]- السائح حبيب ، أنا و حاييم، ص83.

[2]- المصدر نفسه ، ن.ص

[3]- عزالدين صحراوي ، اللغة العربية، في الجزائر، التاريخ و الهوية ، ص33.

و سعت وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي ،و يظهر ذلك من خلال هذا المقطع السّردي " **كان حاييم سيخبرني أنّ مسيو ويل حذّره في البداية من أن يسمعه مرّة أخرى يتحدث معي باللهجة العربية في أي مكان من الثانوية لأننا كنّا نتكلم بها أحيانا على انفراد ... ثم طلب منه ألاّ يُجيبه عن أي سؤال يلقيه عليه إلا بالفرنسية من غير أخطاء ، ففعل حاييم كل مرة من غير هفوة**"[1] . فما كان على **حاييم** و **أرسلان** إلا تحويل لسانيهما فرنسيين، ولا يتكلّمان العربية إلا خفية.

و في سبيل تحقيق هذا الهدف أغلقت فرنسا المدارس حتى ينسى الجزائري عروبته و دينه و يستبدلهما باللغة و الثقافة الفرنسية ،و هكذا عمّت الأمية في الوطن الجزائري و أصبحت " **حالة الأهالي الاجتماعية المزرية و حظهم من التّعليم في المدارس العمومية الأكثر إزراء** "[2] ،حيث استولت فرنسا على معظم معاهد التعليم الموجودة بالجزائر و تحويلها إلى ما يخدم مصالحها ،و لم تسمح للأهالي بالتعليم إلا في حدود ضيقة ،و لعل المقاطع الروائية الآتية تبيّن هذا في قول **حسيبة للصادق و أرسلان** :" **ظلم تاريخي أن تكون نسبة عدد الأهالي، مقابل مجموع الأوروبيين و الأقدام السوداء، تسعين في المائة ،لتكون هذه النسبة هي نفسها من الأميين منهم** " [3] ،و في قول الراوي " **إنّ أطفال الأهالي في المدرسة لا يمثلون سوى حوالي عشرة في المائة بالنسبة إلى غيرهم** "[4] .

فلطالما اعتبرت فرنسا اللغة العربية الحاجز الذي يتحطّم أمامه كل مشروع كولونيالي و مخططاته الى فرنسة الجزائر ،و عائق في وجه أهدافها ،و في الحقيقة لن تصبح الجزائر فرنسية إلا عندما تصبح اللغة الفرنسية تقوم مقام لغتنا العربية.

---

[1]- السائح الجبيب ، أنا و حاييم، ص34.

[2]- المصدر نفسه ، ص84.

[3]- المصدر نفسه ، ص86.

[4]- المصدر نفسه ، ن.ص .

ارتفعت نسبة الأمية بين الجزائريين ، وتقلص عدد المتعلمين و أصبح وضع اللغة العربية سيّئا لدرجة كبيرة ،و بقي الجزائريون أسرى الجهل و الأمية ،و كان أطفال الأهالي لا يمثلون سوى نسبة ضئيلة بالنسبة إلى غيرهم في حظّهم من التّعليم في المدارس ،وفي قول **الصادق** " **لذلك يمكن أن نعتبر أنفسنا نحن ثلاثتنا من بين النّاجين من مقصلة الإقصاء ، أجل إنها مقصلة حقيقية تقطع أيضا حبل المعرفة عن الأهالي ليظلوا في الدرجة الدنيا التي رتبتها لهم الإدارة الاستعمارية** "[1] .و هذا ما يسمى بسياسة التجهيل التي انتهجها الاستعمار ،و كتمهيد لفرنسة الجزائريين مبتدئة إياها بمجال التعليم، فعمل على احتلال عقول الجزائريين و الهيمنة على المجتمع الجزائري بكل عناصره من (دين، و لغة، و...) و من ثم مسخ لهويته، و تحويل بيئته الى بيئة فرنسية لتجعل من وجوده فرنسيا لغة و دينا و عادات و تقاليد ،راضيا بانتمائه لفرنسا خاضعا له، و المقطع الآتي الذي جاء على لسان **حاييم** و هو في الاستوديو خلال مناقشة بينه و بين **ارسلان** عن الميز العنصري الذي تُكرّسه قوانين فرنسا ،يخبر فيه صديقه عن تجنّس والده قائلا " **جادلت والدي يوما في أمر تجنُّسه فكان ردّه أنه فعل ذلك لأن العثمانيين ، هنا كانوا يهينون أجدادنا باعتبارهم ذمّيين لهم ، عليهم حق الحياة نفسه، و كانوا يفرضون عليهم الجزية، و يلزمونهم بلبس أثواب ذات ألوان صفراء ، ثم خلص إلى أنّه يكفينا مع النصارى أن نحافظ على ديننا و لغتنا، كما ينادي بذلك رجال الدين المسلمين في البلد أيضا**"[2] .

و هنا تظهر أولى علامات اضطراب الهوية لديه، يقول معبرا عن أزمته "**فقد تمّ التنويه بي نموذجا حيّا على نجاح الاندماج في مجتمع الجزائر الفرنسية الجديد و ذلك يعني في المسكوت عنه تدجين الأنديجان لحظتها ازددت شعورا بالوزر، لتجنّس والدي و اعتباري تبعا لذلك فرنسيا**" [3] .

[1]- الحبيب السائح ،أنا و حاييم ، ص 84.

[2]- المصدر نفسه ، ص206.

[3]-المصدر نفسه، ن.ص.

و هنا يبرز تعدد الهويات، فهو متشظّ بين الجزائرية و الفرنسية، و هذا كسر حقيقي للهوية و انتكاستها.

ثقافة المجتمع لا تقتصر على اللغة فقط كمقوم أساسي لها ،بل هي خلاصة تفاعل الإنسان مع بيئته ،و عبارة عن ذلك النسيج المتداخل و المتشابك من المعارف و العادات و التقاليد و الطقوس و القيم الروحية التي يكتسبها الإنسان بحكم انتمائه للمجتمع، و التي تشكل شخصية الفرد و هوية الجماعة " **فالثقافة كل مكتسب من المبادئ الثقافية (عقائد ، معايير، قيم)** "[1] ، فهي تشمل في صيغتها على منظومة المعايير و القيم و التصورات المشتركة و العادات و الأخلاق.

فالعادات و التقاليد التي يتميز بها المجتمع الجزائري تمثل رمز أصالته و امتداد جذوره في التاريخ البعيد وهي أعراف يتوارثها الأجيال لتستمر، فتلك العناصر التي يشترك فيها أفراد المجتمع جميعا هي أساس الثقافة ،و تمثّل الملامح العامة التي تتميز بها الشخصية القومية لكل مجتمع مثل: الملبس و المأكل، و طريقة الزواج ...و غيرها من الأمور التي اعتاد الناس على القيام بها في المجتمع ،فهي تكسبهم روح الجماعة ،فتؤدي إلى التماسك الاجتماعي و كل هذا يروي له **السائح** مشيرا إلى تلك الألبسة التقليدية و عن التظاهرات و الأعياد و الاحتفالات، و عن طقوس الزواج التي توارثها الجزائريون جيلا بعد جيل.

الزيّ التقليدي جزء هام من ثقافة الجزائر التي تعكس صورة عراقة و جمال هذا البلد ، و من بين هذه الألبسة التقليدية العريقة التي يحاول المجتمع الجزائري الحفاظ عليها نجد" **الحايك**" و هو قطعة ثوب ترتديه النسوة فوق ملابسهن التزاما للحشمة ،بل هو رمز لزينة المرأة الجزائرية و حافظ لحيائها الذي يضفي عليها سحرا و بهاءا، و ليس هذا فقط بل موروث شعبي يرمز للثقافة المحلية و الوطنية الجزائرية.

[1]- أليكس ميكشيللي، الهوية ، ص28.

ينتقل بنا الروائي نحو أجواء البهجة التي رسمت على وجوه الأهالي من الرجال و النساء ليلة الإعلان عن الاستقلال واصفا ذلك في محطات عدة ، فقد كانوا " **هاتفين ' تحيا الحرية' على زغاريد نسائهم بأعلى أصواتهن في العبايات و الحياك، و قد كشفنا عن وجوههن** "[1].

فالحايك أو الملحفة لطالما كان جزءا من تاريخ الجزائر، بما يزخر من بطولات النساء في الفترة الاستعمارية.

بالنسبة للرّجال يتّسم الزيّ التّقليدي لديهم في **البرنوس** و **العمامة**، وهذا اللباس من أبرز معالم الزي الرجالي الجزائري ، له دلالات و ارتباطات و ثيقة بتاريخ الجزائر و خاصة فترة الاستعمار الفرنسي، هذا الإرث التقليدي علاوة على اعتباره لباسا، فإنّ له رمزية خاصة خلال الأعراس و المناسبات السّعيدة ،حيث يرتديه الرجال بكل فخر خلال حفلات الزواج و هو ما يتجسد في روايتنا " **أنا و حاييم** "، في حفل زواج **أرسلان و زليخة** و كان هذا ما تقتضيه لياقة العرف، نجده يقول " **حتى اذا ظهرْتُ بالعمامة و البرنوس ممتطيا حصان والدي بسرجه المطرّز بخيوط مذهّبة و ركابيه الفضيين حاملا بندقيته من نوع الزويجة** "[2] ، و هكذا كان **البرنوس** رمزا لشهامة و قيمة **ارسلان** يوم عرسه .

بالإضافة إلى ذلك ما تضفيه نكهة طلقات البارود على الأعراس و الحفلات و الدّور الذي تلعبه في خلق أجواء بهيجة ،فلطالما كانت **البنادق** رمز البطولة و الشرف ،و لا يخفى عنّا رجولة و شجاعة **ارسلان** في الجبل و في غيره ،و هذا ما يورد فيه الحبيب وصفا طويلا لذلك .

و كما تقتضيه العادة في الأعراس الجزائرية و الأعياد و الاحتفالات ،تحضير النّسوة للأطباق تعبيرا عن فرحهن بالمناسبة، و من أمثلة ذلك احتفاء أهالي المنطقة بمناسبة عاشوراء أو بالمولد النبوي الشريف

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم ، ص237.

[2]- المصدر نفسه، ص 278.

بتحضير أكثر الأطباق شهرة على الموائد ، نجد ذلك في مقاطع عديدة، يقول ارسلان : " **حضرت لي جدتي طاجين الرقاق بالمرق من لحم الدجاج و اللفت و الحمص ... إني لا أنسى أيضا مناسبة المولد النبوي ،و الديك المعروف بريش نوار الفول الذي ذبحه لنا موشي بو حاييم، ونصف الديك نفسه بمرقه مع الرقاق الذي أوصلته في صحن من الفخار لخالتي زهيرة**"[1] ،فطبق الرشتة من أكثر الأطباق شهرة في الجزائر في هذه المناسبة ،كما الكسكس بالدجاج ،و تعدّ الطمّينة و الرّفيس من الحلويات التقليدية أيضا التي تحضّر احتفالا بالمناسبة ،و هذا ما كان رواه **أرسلان** لجدّته عن عادات مدينة الجزائر يوم دعوة **حسيبة** له هو و صديقيه **الصّادق** و **حاييم** ،" **حدّثتها عن احتفاء أهل حيّ القصبة في مدينة الجزائر بالمولد النّبوي بإيقاد الشموع و ربط الحنّاء و إخراج الصدقات ،و رويت لها أنّ حسيبة كانت دعتني أنا و حاييم و الصّادق إلى بيت عائلتها للغداء على طبق الكسكس متبوعا بالقهوة و الطمّينة و حلوة الترك** "[2] .

فرواية **أنا و حاييم** أحصت لنا معظم الأطعمة و في مختلف المناسبات التي اشتهر بها المجتمع الجزائري ،ولا سيما في الأعراس واصفة ذلك كلّه في حفل زفاف أرسلان ،و كيف تتكفّل النسوة بتحضير هذه الأطباق ،فيتكفّل عثمان بكل التحضيرات ليقدّم انطباعا عن مكانة آل حنيفي و يحرص على أن يشرّف روحي المرحومين سيّده المنوّر و لالاه تركية ،والدا ارسلان "**فكلّف من النساء من فتلن الكسكس و فوّرنه في كساكيس من الحلفاء على بخار قدور من معدن لافونت ،و كلّف من عجنّ خبز المطلوع و انضجنه و دلكن المسمّن و قلينه ،و من الرجال من قاموا بشواء واحد و عشرين خروفا و اعداد سفافيد ملفوف الكبد ،في باحة المزرعة على جمر حطب الفرنان و نبات الشّيح** "[3] .

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم ، ص108.

[2]- المصدر نفسه، ص109 .

[3]- المصدر نفسه ، ص277 .

فهذه المأكولات عريقة لها طابعها الخاص ،تصطبغ بسمات و خصائص المجتمع الجزائري في تنوعها و تباينها و ثرائها و غناها اللامحدود .

و هذه الثقافة الشعبية من عادات و تقاليد و أعراف تتّسم بالأصالة و بالتالي هي من أهم عوامل التكامل في إبرازها لخصوصية المجتمع و هويته ،و الحرص على اتباعها و احترامها يحصّن الشخصية الجزائرية ،و يحفظها من الاضمحلال أو الضّعف .

و من خلال تجلي البعد الثقافي في الرواية يفرض الحبيب السائح موقفا معيّنا و هو يبحث عن ملامح هذه الهوية الثقافية التي يعبّر عنها العنوان "أنا و حاييم" في وسط مجتمع يسوده الظلم و العنصرية في ظلّ الاحتلال الفرنسي للجزائر ،و في ثورة التحرير إلى ما بعد الاستقلال .

المبحث الثالث: البعد الديني.

يمثل الدين عماد المجتمع، و قوام الأمم و به علاجها، و في عقائده عماد لبناء هيئتها الاجتماعية، فبواسطته يتمكّن الفرد من محاربة الآفات التي تهدده بالفساد، فهو يتضمن جميع المبادئ و المعتقدات و الطقوس الدينية الخاصة بمجتمع ما، يتميز عن باقي المجتمعات كما أنه ينظم حياة الإنسان بمختلف جوانبها، و يتميز بدوره في تحديد وحدة الافراد، و ذلك من خلال تماثلهم في مختلف الأركان التي يبنى منها المجتمع، كما يعزّز العامل الديني جملة من القوانين في مسائل الهوية و الانتماء، فالدين هنا يلعب دورا في تحديد هوية الانتماء بين الفرد و الجماعات الاخرى .

الدين هو نظام حياة، يوجّه الفرد و يقنّن أفعاله، و به يتحقق تكامل الجماعة و تماسكها ووحدتها، فإذا كان الدين يحقق وحدة الأفراد، فسيكون حتما للدين أهمية في بناء الهوية، و واحدا من أهم الركائز التي تقوم عليها، كما يعتبر ركنا أساسيا من أركان البناء الاجتماعي، كونه ينظّم علاقة الإنسان بالإنسان، و علاقة الإنسان بالحياة.

و بالرّجوع إلى الدين الإسلامي، فهو شريعة إلهية تشكل المجتمعات، و تحدد قيم و مفاهيم الأفراد فيها، من خلال القواعد التي يعمل على إرسائها من خلال إتباع ما جاء في القرآن الكريم، ذلك ما تؤكده لطيفة ابراهيم خضر بقولها " **أما الإسلام فقد كان بالنسبة للذين أسلموا، و تعرّبوا، أو بالنسبة للذين أسلموا، و لم يتعرّبوا دينا و عقيدة، و شريعة و نظاما كاملا للحياة يتعبّدون به إلى الله تعالى، و بأحكامه، و مبادئه و مثله، و يسلكون في الحياة على الطريق الصواب ، ثم كان هذا الدّين للذين تعرّبوا و لم يسلموا، تاريخا مشتركا و ثقافة و لغة** "[1] .

يمثّل الإسلام المقوّم الأول للشخصية الوطنية الجزائرية، و كان دائما خلال مساره التاريخي الطويل، مظهر هذه الأمة و لباسها و هويتها التي تتمظهر بها بين الأمم، و تُعرف بها بينها، و في

[1]- لطيفة ابراهيم خضر، هويتنا الى أين؟ ص247.

هذا يشير عبد المالك مرتاض قائلا: " ... **فإنّ الإسلام تمكن من قلوب الجزائريين آخر الأمر، و أصبحوا يُشكلون قوة اسلامية عظيمة في الجهة الغربية من العالم الاسلامي القديم و من ذلك أنهم شاركوا في فتح الاندلس مع طارق بن زياد، و منذ ذلك التاريخ أصبح الاسلام يمثل جزءا أصيلا من مقومات الشخصية الجزائرية** "[1] .

فالإسلام يسيطر على طريقة الحياة في المجتمع الجزائري و يحافظ على هويته المركزية الاجتماعية و الثقافية، احتضنه و تشبث به إلى الدرجة التي أصبح فيها يمثل عنوانا مهمّا من عناوين هويته، و بذلك نلمس مدى تأثير الإسلام في هوية المجتمع الجزائري.

و الإسلام دين يسعى من خلال مبادئه و تعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح إزاء كل الأديان و الثقافات، و قد حرص كل الحرص على تأكيد هذا التسامح بين الأديان، لجعله عنصرا جوهريا من عناصر عقيدة المسلمين، فقيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقر الاختلاف، و يقبل التنوع، ويعترف بالتغاير.

إن الوجود اليهودي بالجزائر لهو أمر ضارب في التاريخ ،فقد عرفت أرض الجزائر في العديد من مناطقها يهودا شكلوا جزءا من سكانها، و صنعوا جزءا من ذاكرة أمتها الثقافية، فنجد الكثير من يهود الجزائر ضحّوا و استشهدوا من أجل تلك الأرض التي سكنوها و يشهد لهم التاريخ بالمساهمة في الدفاع عنها، و قدموا كل ثمين في سبيل الأرض و الوطن.

و هذا ما يظهر جليا و بوضوح في رواية " **أنا و حاييم للحبيب السائح**" ، إنها رواية استرجاع للصداقة و روح التسامح للديانتين اليهودية و الإسلامية.

تتأسس هذه الرواية على سرد قصة انسانية لعلاقة صداقة بين مسلم و يهودي، منذ أن كانا طفلين، واحد عربي اسمه أرسلان، و أخر اسمه حاييم، و على الرغم من أنّ مساحة الصداقة أخذت

[1]- عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، ص255.

أغلب مساحات الرواية، حاول السائح أن يصوّر يهود الجزائر كونهم شكلوا جزءا لا يتجزأ من مكونات البلد التاريخية و الثقافية، فجعل حاييم نموذجا مثاليا لفئة من اليهود الجزائريين الذين رفضوا الانخراط في المشروع الصهيوني.

فالجزائر كانت رقعة التعايش بين الأديان و الشعوب، و تجمّع واسع لجميع الأطياف و الهويات، لتصبح بعد ذلك منفرة رافضة لهم، و هذا ما ألقت الرواية الضوء عليه، فهي بمثابة دعوة الى إحياء فكرة التعايش و التسامح التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري طيلة قرون من الزمن، و مع بداية الرواية يظهر نوع من التسامح الرائع الذي مارسه أرسلان المسلم و حاييم اليهودي، كما يتجلى التسامح في أبهى صوره من خلال ارتباط الأول بالثاني بسبب ما رآه فيه من جانب انساني ،هكذا يكشف الروائي و يبرز الروح الانسانية المتعالية لدى اليهودي، و يسعى لكي يصبغ على حاييم كل معاني المثالية إلى الحد الذي لم نر فيه أي خطأ صدر منه ،حتى في مواقفه الصعبة كما أنه لم يخرج عن التزاماته الدينية، و لم نلحظ له نزوات عاطفية، يدل عليه قول أرسلان " **أجدك كما رِبّي أورثوذكسيّا زاهدا بلا نار في قلبه** "[1] ،كانت هذه العبارة يوم أول سفر لهما بالقطار إلى مدينة الجزائر ، للالتحاق بالجامعة، و قد تناولت الرواية بين ثناياها الكثير من العبارات الدالة على الروح الطيبة التي يمتلكها ذلك اليهودي " **حاييم برغم ما يظهر عليه من تحفظ، لدى من لم يعرفه عن قرب كما عرفته اختزن مثل كنز، روحا ظريفة و مليحة فقد ظل سبّاقا إلى إثارة ما يدخل عليّ سرورا** "[2] ، و يضيف أرسلان " **كنت أجد شيء في حاييم يدعو إلى ذلك ،ذكائه المتوقد، و هيئته السميحة، رزانته الوطيدة، و طيبة نفسه** "[3] ،هذه الروح الإنسانية لدى اليهودي هي سمة متأصلة في النفس مثلها مثل باقي الغرائز التي لا دخل للدين فيها.

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم، ص62.

[2]- المصدر نفسه، ص39.

[3]- المصدر نفسه، ص46.

لقد تتبعنا تطور العلاقة بين أرسلان و حاييم، فقد دبّر لهما السائح كل أساليب العيش معا و تدرّجا في الأطوار التعليمية معا و تفوقا معا، في وطن لم يكن حرا، بالرغم من أنهما ينتميان إلى ديانتين مختلفتين، فسعيا إلى المساهمة في رفع الظلم، حيث تقلصت مسافة الاختلاف الديني بينهما، فنادرا ما يتحدثا عن هويتهما الدينية فما يجمعهما أكثر ممّا يفرّق بينهما، و العلاقة بينهما علاقة مثالية متطهرة من كل ما يوحي بالاختلاف، فسلوكياتهما متطابقة، كما قال ارسلان " **لم يصدر يوما من حاييم تجاهي ما أشعرني بأنه تضايق مني لكلمة أو سلوك و حاييم في مثل هذه الحياة كان مرآتي و بارومتري**"[1]، حيث أصبح الإسلام و اليهودية ممارستين اجتماعيتين متشابهتين في مختلف أساليبها، الأمر الذي عمل على ترسيخ الهوية الثقافية بينهما، من خلال تشاركهما في كل شيء، حيث جعلت الرواية من أرسلان و حاييم واحدا في الفعل و الشعور، و يتجلى ذلك في العبارات المفرطة التكرار التي تجمعهما "أنا و حاييم ،كنت مع حاييم ، حاييم كان مثلي ...".

كما أبدى لنا السائح العلاقة بين العائلتين اليهودية و المسلمة ،فليس هناك اختلاف ولا صراع هناك تشابه في المأكل و المشرب و العادات "**و عوائد الأعراس عند عائلات اليهود و المسلمين و تشابههما كما في مراسم موكب العروس يوم زفّها إلى بيت العريس مشيا ،أو في هودج أو على ظهر دابّة ،و ألبسة الرجال في تلك الأعراس التي تصفف وحدها لهذا و ذاك منزلته الاجتماعية من غير تمويه ولا ذر لأي رماد لأن الناس هناك يعرف بعضهم بعضا في ما يكسبونه** "[2]. حيث سعى أرسلان إلى إحياء مجموعة من التمثّلات الاجتماعية و الثقافية للدين ،التي يشترك فيها الإسلام و اليهودية كبعض العادات و التقاليد ،و هي مكوّنات ثقافية خالية من رمزيتها الدينية .

يضيف أرسلان إلى أنّ النقاش الديني يبتعد كليا عن تجاذب الحديث الذي يدور بينهما ،قائلا: "**قرأت بصمت لدقائق قبل أن يشغلني أن لم نكن أنا و حاييم تجاذبنا حديثا حول ما نقرأه من**

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم، ص73.

[2]- المصدر نفسه ، ص 40-41 .

مقدّس ،إلا ما تعلّق من حين إلى آخر بقصص الأنبياء و بالخلق و الموت و المقابر أيضا ،ولا وقع يوما أن حاول أحدنا ردّ الآخر عن دينه ،واجدين ذلك من سلوك عائلتينا ،ومن غيرهما من المتجاورين من المسلمين و اليهود في الدّرب خاصة "[1] .كما أن العلاقة التي كانت بينهما رغم اختلاف الدين ،كانت مبنية على الحوار حول الأديان دون تعصّب أو اقصاء حتى يستوعب كل طرف ما يؤمن به الطّرف الآخر ،و دائما يعود التسامح الديني بفتح المجال للمطارحات الفكرية و الحوار حول الأديان.

فالتقاء أرسلان المسلم بحاييم اليهودي أسّس لمرجعية ثقافية تتقاطع فيها الأديان ،و أستدل بذلك من الرواية في هذا المقطع "... **حتى إذا عدتُ إلى غرفة النوم وجدتُ حاييم دخل سريره و بين يديه كتاب التوراة الذي غالبا ما يقرأ منه حين يكون في حالات من الحزن أو التوتّر ،ابتسمت قلت في داخلي إنها ليلة مقدّسة... دخلتُ الحمّام فتوضّأت و عدتُ فأنزلت من دولاب الملابس مصحفي هديّة والدتي الثمينة "**[2] .

على خطى الحوار و التسامح الديني ينسج الحبيب السائح أسس الوجود اليهودي في الجزائر ،فقد كان حاييم النموذج اليهودي كمتفرّد في حبّه للجزائر ،فحاييم في الرواية رفض السّفر مع حبيبته كولدا و هي واحدة من أولئك الأوروبيات من أصل يهودي ،رافضا الإنتقال معها إلى فلسطين لأنّ بلده هو الجزائر الذي وُلد فيه ،و تعلّم و كبُر فيه ،بل ضحّى من أجله مثلما ضحّى الجزائريين ،فهو اليهودي الذي يحبّ الجزائر ،فلم يحتار حاييم أو يتردّد ما بين إرضاء قلبه الذي يركع لرؤية طيف كولدا و عقله الذي يتمرّد على هذا الخضوع ،و يأبى إلا أن يعلن تمرّده جهارا ،فيظل الوطن هاجسا و رفيقا حاضرا حضور النفس في جوفه و السّاكن الذي يستقر في القلب بالرغم من عشقه لحبيبته ،و رغم الضمانات التي قدّمتها له إن هو غادر معها إلى هناك ،فقد خلّفت له جرحا في القلب من وراء تلك

[1]-الحبيب السائح ، أنا و حاييم ، ص123

[2]- المصدر نفسه ، ن.ص

الإهانات التي كانت توجهها له مرارا ،و يظهر ذلك من خلال هذا المقطع " **كيف ليهودي مثلك أن يرهن شرفه و دينه و حياته لهؤلاء الحثالات و فوق ذلك أن يتواطأ مع قتلتهم من الفلّاكة** "[1] و يظهر في قولها أيضا " **لا تنس أن تستصدر لك بطاقة تعريف جديدة من دائرة دولة الأنديجان الجديدة** "[2] .

لكن الروح الحقيقية الجميلة التي يتحلى بها حاييم أردعته عن التخلي عن وطنه ،إنّ موقفا كهذا جعل من شخصية اليهودي نموذجا وطنيا .

فحاييم كان يناضل في السرّ من خلال توفير الأدوية للمجاهدين ،و موقفا كهذا جعل من شخصية حاييم منسجمة مع موقفها من الاستعمار ،هذا و يرى أنّه لابد أن يكون جنب أرسلان في الجبل في قوله :

" **تعرف يا أرسلان ؟ كل يوم أزداد شعورا بأن مكاني يجب أن يكون إلى جانبك ،أحمل السلاح مثلك من أجل شعب يستحق الحياة** .

قال حاييم مرفقا ذلك بإيماءات الرغبة من يديه "[3] ،فيجيبه أرسلان قائلا :

" **و لكنّك هنا في صيدليتك تقدّم ما يسند السلاح ،و لولاك ما كانت زليخة لتنجو في تلك الليلة ،أجبته** .

فقد وجدته أمرا طبيعيا أن يردّ حاييم بأنه لا يقوم بغير واجبه "[4] .

[1]- الحبيب السائح ، أنا و حاييم ، ص 258 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 260

[3]- المصدر نفسه، ص 188.

[4]-المصدر نفسه ، ن.ص.

فالمقاومة ضدّ المستعمر لم تفرّقهما ،بل إنهما تعاونا بالقدر المستطاع ،و فهما المواطنة بعيدا عن أيّ تشنّج ديني أو تعصّب طائفي .

و ليست الهوية أكثر من تعلّقنا بالمكان الذي نحبّ ،إنها أشبه بالتيار الذي يسري في عروقنا فالانتماء إلى هذا البلد المتجذّر في صميم القلب لا تعوقه عوائق مكانية أو زمانية ،و هو ما حدث لشخصية حاييم ،فالجزائر بالنسبة له تجاوزت رسميات الانتماء ،و تحديدات الهوية و انتهكت أوراق التعريف .

وما إن تضع الحرب أوزارها و يتحقّق النصر تبدأ معاناة حاييم الذي ينعت باليهودي و مطالبته بالرحيل كباقي الأقدام السوداء و الأوروبيين ،يسرد أرسلان الحادثة التي وقعت أمام دار البلدية عندما أراد أن يعلن أنّ دار البلدية أصبحت ملكا لهم فيقول :"**إنه سمع من سمّته الزعيم يطلب ممّن معه أن يبدؤوا بدار الصيدلي في الدّرب ...**"[1] .يضيف الحديث :"...**بينما انبعثت من بين المتجمهرين أصوات، هذا اليهودي كان مثله مثل الأقدام السوداء يحمل الجنسية الفرنسية**"[2]. فما حدث هو أنّ بعض المتحمّسين طالبوا بإحراق صيدلية حاييم و طرده من الجزائر لأنه يهودي متجنّس ،و كان وقع الحادثة شديدا على حاييم لولا أنّ أرسلان انقذه من الأشخاص الذين جاؤوا مدجّجين بحقدهم.

لقد رسم لنا السائح الوضعية الهامشية التي عاشها حاييم ،فأبقاه وحيدا و مات وحيدا بالسرطان داخل الصمت ،فبالرغم من عدم تمكّنه من امتلاك الوطن إلا أنه أحبّ الجزائر كأيّ جزائري مسلم ،و أستدل بذلك من الرواية في هذا المقطع "**سأرحل قريبا عن هذه الدنيا و في قلبي حبّ عظيم لك و لأهلنا و بلدنا ... أحببت و أنا أثق في وفائك أنت و زليخة ،أن تسهر على أن ينقل جثماني إلى مدينتنا ،وعلى أن يحفر لي في مقبرتها قرب والديّ ،كم أحببت سعيدة هذه .و يا لها من مدينة**

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم، ص 221

[2]- المصدر نفسه ، ص 225

عجيبة على قدر كبير من الأسرار الصغيرة ."[1] ،وكان هذا ما ورد في رسالة حاييم التي استلمها ارسلان بعد وفاته .

و من خلال تجلّي البعد الديني في الرواية ،تبرز الشخصيات و هي تتأرجح بين هويتين "يهودية و مسلمة " ،و يثبت لنا لحبيب السائح البعد الحضاري و الديني التي كانت تعيشه الجزائر في ذلك الوقت ،فهذا البعد يعمل على ارساء قيم التسامح بين الأديان ،لقوله تعالى" **لا إكراه في الدّين "**[2] . فأرسلان المسلم كان محبّا لحاييم اليهودي ،فإنسانيتهما كانت فوق كل اعتبار ،فعلاقة الإسلام بالديانات السماوية الأخرى تقوم على المغايرة لا على الضدية ،و هذا ما انعكس في رواية "أنا و حاييم ".

حيث تتأسس روح هذه الرواية على حكاية اليهودي الذي عاش في كنف الحضارة الإسلامية ،و كان عنصرا فاعلا منها ،فالرواية تشتغل على إعادة الاعتبار لصورة اليهودي في المخيال الثقافي الجزائري و استعادة ذاكرة مهمّشة ،كفئة اليهود الذين وجدوا أنفسهم بعد الاستقلال يقبعون في الهامش ،وفي كل ذلك لا تفتأ الرواية تشير تلميحا إلى ما تعرّضت له هذه الفئة من المحن و أشكال الطّمس و الاضطهاد .

و بالتالي فحاييم كان نموذجا مثاليا في عالم افتراضي على أنّ بعض يهود الجزائر لم تكن لهم علاقة بالصهيونية ولا بدولة اسرائيل .

[1]- الحبيب السائح، أنا و حاييم ، ص 325 .

[2]- سورة البقرة ، الآية 256

خـــاتمـــة

خاتـمة

إنّ الرواية حملت نمطا مغايرا و طرحا جديدا للتّعبير عن حالة الوطن و الوقوف على سؤال الهوية و هذا الأخير يحتل الصدارة في سلّم المواضيع التي لها بالغ الأثر في أمور ديننا و دنيانا، و هو مصطلح عام و غامض و من الصّعب الإحاطة به و تطويقه بشكل دقيق، نظرا لتعدد دلالاته و معانيه ومفاهيمه، و لاختلاف المرجعيات و تنوّع المشارب ، بحيث يتصل بالحقل الفلسفي و المعرفي والسياسي و التاريخي علاوة على عوامل أخرى تتفاعل مع الهوية كاللغة و الإيديولوجيا و التراث و الدّين، ومكوّنات الهوية يرتبط وجودها عبر شبكة من العلاقات التي تندرج في الخصائص والمشتركات التالية:

* المجال الجغرافي و الوطن التاريخي المشترك.
* وجود ذاكرة تاريخية مشتركة للأمّة.
* ثقافة شعبية مشتركة بين جميع فئات المجتمع.

تهتم الرواية الجزائرية المعاصرة بمسألة الهوية التي تشكّل خصوصيتها الأساسية لتعكس من خلال معالجتها لهذه المسألة تساؤلات الفرد الجزائري على العلاقة التي تربطه بأرضه و دينه و بلغته، و هذه الاخيرة تكتسي طابعا مميزا في نظر المجتمع الجزائري، و كانت أداة تحصين و حفاظ على هويته و شخصيته، و عامل أساسيا جَابَهَ كل محاولات الهيمنة الذي حاول الاستعمار أن يمارسه بكل وحشية عليه، و التاريخ في الجزائر مما كان له أثر واضح في حفظ الشخصية الجزائرية يحدّد خصوصية هذا الشعب عن غيره من شعوب الأمة، من خلال الحضارات التي استوطنت المنطقة على مرّ تاريخها، كما الثقافة التي تمثّل القاعدة أو الأساس الذي تقوم عليه الهوية، تلامس جملة من العناصر كالعرف و العادات و المعتقدات و غيرها، و هي التي تصوغ ملامح المجتمع الجزائري و هويته و تماسكه.

خاتمـــة

إن الأزمة التي عاشتها الجزائر ارتبطت بكيان دولة و هوية شعب و صراع حول الهوية المهيمنة، و هذا قد تناوله و عالجه الروائي الجزائري الحبيب السائح في روايته أنا و حاييم، بحيث يطرح السائح اشكالية الهوية من خلال مروره على تاريخ الجزائر حيث صوّر معاناة الإنسان، و عن شعب كان يعاني من فقدان هويته و انتمائه لوطنه في وقت تعرّضت فيه وحدة الوطن و استقراره إلى التصدّع خلال الأزمة، فيعتبر البعد التاريخي و الثقافي و الديني من أهم أبعاد لهوية الجزائرية، و قد برزت هذه الأبعاد في الرواية من خلال آراء الشخصيات و مواقفها من قضايا الواقع الاجتماعي و السياسي و التاريخي ... و غيرها.

كما يطرح لنا الكاتب مشكلة الأديان: اليهودية و الإسلام، يحاول جاهدا بناء صورة من التوازن بين امتلاك الجهتين لموضوع التسامح، حيث تبنى الرواية في معظمها على سعي أرسلان للحصول على العفو لحاييم، يعدّد فيها صفاته، و تفاصيل نضاله كبقية الجزائريين ضدّ المستعمر الفرنسي و إبراز خصاله النبيلة و ابدائه بطبع انساني هادئ، يظهر تأثره بمخلفات و قساوة الحرب و ظلمها عمل الكاتب على ايصال رسالته من خلال أنا و حاييم و مضمونها الإنساني العميق من خلال شخصية أرسلان و حاييم حول الدين، حيث تتعدد لقاءاتهما و تتنامى بينهما علاقة صداقة تتجاوز الفروق الدينية و الانتماء الهووي و هذا تحديدا هو المفهوم الذي آل إليه الموضوع .

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

الحبيب السايح ، أنا و حاييم ، ميسكيلياني للنشر و التوزيع ، تونس، ط1 ، 2018

المراجع :

1-أليكس ميكشيللي، الهوية، تر: علي وطفة، صادر عن دار النشر الفرنسية presses universitaires de franceدمشق،ط1، 1993

2-أمين معلوف، الهويات القاتلة، تر: نبيل محسن، دار الحصاد ، دمشق، ط1، 1999

3-أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992.

4-بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، تونس، ط1، 2005

5-بوشوشة بن جمعة، النقد الروائي في المغرب العربي، دار الانتشار للنادي الأدبي في منطقة الباحة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2012

6-جان فرانسوا ماركييه، مرايا الهوية :الأدب المسكون بالفلسفة، تر: أ.كميل داغر، مراجعة : لطيف الزيتوني، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ط1، 2005

7-رسول محمد رسول، محنة الهويات، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2002

8-رفيق العجم، موسوعات مصطلحات علم التاريخ الاسلامي، ناشرون مكتبة لبنان، لبنان، ط1، 2000

9-الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1995

10-الطاهر روابنية، مقاربة في الخطاب الروائي الجزائري، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د.ط، 2011

11-عامر مخلوف، الرواية و التحولات في الجزائر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2000

12-عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، د.ت

13-عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث و الهوية، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، الرباط، المملكة المغربية، د.ط، 2011

14-عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1994

15-عمر بن فينة، دراسات في القصة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1982

16-عمر بن فينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ط، 1955

17-الفارابي، التعليقات، تح : جعفر آل ياسين، مجلس دار المعارف العثمانية، الهند، د.ط، 1928/1346

18-فاطمة الزهراء سالم، نحو هوية ثقافية عربية اسلامية، دار العالم العربي، القاهرة، ط.1، 2008

19-أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1985

20-لطيفة ابراهيم خضر، هويتنا إلى أين؟ ، عالم الكتب، القاهرة، ط.1، 2009

21-لويس معلوف و آخرون، المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق، بيروت، ط28، 2000

22-محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة للطباعة و النشر، مصر، ط.1، 1999

23-محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية و الالتزام، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ط، 1979

24-محمد نور الدين أفاية، الهوية و الاختلاف، افريقيا الشرق للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، د.ط، 1988

25-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997

26-نديم البيطار، حدود الهوية القومية، سيان للنشر و التوزيع، و الإعلام، بيروت، ط.1، 2002

27-واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1996

28-واسيني الاعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط.1، 1985

29-واسيني الأعرج، الطاهر وطار و تجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.1، 1989

المجلات :

1-الشريف كرمة، اللغة العربية و علاقتها بالهوية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 6، جوان 2006

2-عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، العدد 8، جوان 1972

3-عز الدين صحراوي، اللغة العربية في الجزائر، التاريخ و الهوية، مجلة كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيثر، بسكرة، العدد 5، جوان 2009

4-فايزة خمقاني، أثر الفضاء و الزمن في تقصّي ملامح الهوية في رواية خرافة الرجل القوي لبومدين بلكبير، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 28، جوان 2017

المواقع الالكترونية :

1-حسام الدين علي مجيد، انبعاث ظاهرة الهويات، قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور، موقع: مؤمنون بلا حدود، 2019/01/02 ، 15:45

2-عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحفاظ على الهوية و الثقافة الاسلامية في إطار الرؤية المتكاملة ، www.islamtoday.net/files، 02/02/2019، 17:47

الفـــهـــرس

الـفــهـــرس

إهداء

شكر و عرفان

مقدمة .....أ - ج

مدخل : الرواية الجزائرية : السيرورة و التطور

1-مراحل الرواية الجزائرية.....3

2-اتجاهات الرواية الجزائرية.....8

3-الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....10

الفصل الأول: الرواية الجزائرية و علاقتها بالهوية

المبحث الأول: مفهوم الهوية

1-تعريف الهوية.....15

2-الهوية في التراث العربي الإسلامي.....18

المبحث الثاني: محددات الهوية الجزائرية

1-خصوصية الهوية الجزائرية.....22

2-جدل الهوية في الرواية الجزائرية.....27

المبحث الثالث: التاريخ و المجتمع و تمثّل الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية

1-علاقة موضوعات الرواية ذات طابع تاريخي بالهوية..... 30

2-طبيعة تعاطي الإنتاج الروائي مع هوية المجتمع..... 34

الفصل الثاني : تمظهرات الهوية و أبعادها في رواية أنا و حاييم

المبحث الأول: البعد التاريخي.....41

المبحث الثاني: البعد الثقافي..... 47

المبحث الثالث: البعد الديني..... 55

خاتمة.....64

قائمة المصادر و المراجع.....67

الفهرس